سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (29)

ديوان المرغيثي

محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن داود المرغيثي السوسي

(ت. 1089 هـ/ 1678 م)

(الجزء الأول)

بسم الله الرحمان الرحيم

يقول بعد حمد مجري الفلك ثم على محمد الهادي الزكي

أزكى الصلاة وعلى الأشراف آل النبي وكل ذي انصاف

محمد نجل سعيد السوسي المرتجي مغفرة القدوس

يا سائلي مختصرا يكون في نظم أبي مقرع المؤلف

خذه بعون القادر المهيمن كما أردت وبه فاستعن

فالاختصار كان صعب الفهم على العقول سيما بالنظم

لكن سر الله في صدق الطلب كم ريء في أصحابه من العجب

زدت له فوائدا وربما أخرت ما كان به مقدما

وأسأل الذي به استعنت عليه أن يتم ما أردت

أيام العام العربي والمهمات منه

أيامه ستو وزيد الخمس والسدس منهما يكون الكبس

أفضل ما في العام مولد النبي صلى عليه الله ليلة يب

من يوم الاثنين ربيع الأول أتى فيه طيبة خير مرسل

وموته فيه كذا الإسراء ويا محرمك عاشوراء

أو تاسع والصوم والإنفاق فيه بهما تزيد الأرزاق

وفي إلهنا الكريم بوسا فيه الخليل والكليم موسى

آدم داود ابنه إدريس أيوب يونس ونوحا عيسى

في صوم ثالث المحرم ارغب وحاء حجة وكر رجب

وكه قعدة ويوم عرفه ونصف شعبان روى ذو المعرفة

ذو قعدة ذو حجة محرم ورجب الفرد شهور حرم

أيامها سهص وربع كبسا وزاده الروم سباط حسا

فالفصل في القولين في عددا وربع يوم مطلقا قد وجدا

وزاده في الصيف بعض فأقام الشمس في الجبهة يد بالتزام

فأول الربيع من فبرائر ليلة يد بحساب السائر

مقدم الفرعين قل منزله ويوم يز في المصيف نتبته

من مائة والهقعة اجعل منزله ثم الخريف يز من أغشت له

منزله الصرفة والشتاء يو نونبر وشولة له حكوا

تعد سبعة من المنازل لكل فصل وابدأ بالأوائل

للأولان الدال ها للأخيرين وابدأ من أول المحجوز دون مين

فيو مارس ويو شتنبر هما اعتدالان معا فاعتبر

والانقلابان يعود جنبر ويو ينيه وان تختبرا

تجرهما بباء ينيه ويا دجنبر أيضا قد بليا

كذا بباء مارس اعتدالا وأي شتنبر ولا إشكالا

وإنما حركة الإقبال زادت فزال موجب الاشكال

يب دجنبر الليالي ويب يليه سمائم وسيما احسب

وكه فابرائر لدال مارس أيام نحس لذوي المناحس

في كد ينيه تكون العنصره وكير ابريل فاحبب مطره

في جيم مايه وفي نسانه والحرث يز اكتبر إبانه

في كد من دجنبر عيسى ولد سابعه الآخر منه فاستفد

مدخل ينير والشهور

مدخل ينير إذا أردته ما بعد سبعمائة وجدته

عربية بعامك احسب عامدا والازدلاف اطرحه إلا واحدا

أسقط الشيخ وربع ذاك زد له فإن صح فكبسا ستجد

والكسر الغ واطرحنه سبعا وابدأ لباق أو لسبع قطعا

بأحد تقف على المجوز والكبس ترك الخامس المجوز

والازدلاف كل لج أن يتم العربي ينير فيه منعدم

وكان في شكه بهذا الزمن وقلقليس العجم أس وعني

ما بعد رؤية الهلال القائد وقبل ينير الجديد الوارد

ومن يرد مدخل شهر ينشده يناير فابرائره ومرسه

أبريل زمايب وهاء ينيه يليز غشتج شتنبر وفه

الكتبرح نونبره دجنبرو مجموعها ادد زده زوجو حدو

فابدأ بحرف الشهر تبغي مدخله من يوم يناير توافق أوله

أما إذا جهلت منه ما مضى فهو الذي يبقى إذا ما رفضا

من عربي اشنا مع يوم لشهر من أنايرنا ياقوم

إلا سباط والذي تريد وحيث قل العربي تزيد

شهرين أو شهرا وإن لم يعلم العربي فزد لماضي العجم

أسك والايام والزائد عن شهر فخذ والغ كاليومين عن

سباط كم واللام في نونبر أبريل ينيه كذا شتنبر

لينير زد يوما ومارس ومايه ويليه أغشت أكتبر مع دجنبر

منزلة الشمس وبرجها

فزد لماضي الفصل واجعل يج لكل ما له من منزل

ومنتهى الشمس به بقدر ما بقي ويد جبهة تقدما

وبرجها فزد لماضي العجم يه وحرفه والاما ادم

منه لبرج الشهر والباقي لما يلي ودونها لذا البرج انتما

وأحرف الأشهر زحو مع زوو ههد دهو للجدي ينير رووا

وسر كذا للقوس مع دجنبر كذا الحروف رتبن واختبر

قال أبو زيد الرضي السوسي ينقص يومان من الأسوس

منزلة القمر وبرجه

ومنزل الهلال ثاني الشمس إذا بصدر نجمها قد تمسي

وثالث بالعكس واحسب منه لكل ليلة بحثت عنه

لذاك كل عجم بمنزل معين يهل فيه فقل

يس فهر مراث ومه يذ لط غص شح كف نغ ذذ

من ذاك تدري برجه لأنه منزلتان مع ثلث سنه

تعطيه شمس كل ليل نصفا سبع من النور لذاك يلفى

يغيب في إهلاله لنصف سبع ليل وغدا للضعيف

كذا إلى ليلة بدر لم يغب إلى طلوع الشمس ثم ينسلب

من نصف سبع ليل به وطلع لمثل ما قد غاب قبل واتبع

والشهر كامل إذا ما طلعا في كمح وبالنقص إذا يخفى اقطعا

أوقات الصلاة والسحور والساعات والطالع

قد وضعت للظهر والعصر حروف طزه جبا ابده حي للصفوف

في مستوقف والظلال علم وكل لشهر حرفه بالقدم

ماسبعة للعصر ثم إن ترد كم سعة فسبعة للظل زد

ومابقي من بعد طرحك الزوال فاقسم عليه حب وقبله يقال

مضى وبعده بقي والساعه بمنزل والسدس ياذا الطاعه

من شمسنا وطالع الليل بها من غير سبع فلتكن منتبها

والحاء منها مغربا وسطا ويا عشاء السحور حي كاف ضيا

أمكنة الدراري ومقامها وبيوتها وأيامها

فالتسعة الأفلاك كان القمر منها بتالينا وثان أكبر

فيه عطارد وجيم زهره للشمس دال ها لنجم الحمره

مريخ والسادس مشتر زحل في سابع والغير في ثامن حل

وتاسع عار حواها كل فدان عز ربنا وجل

مقام بدر ليلتان وثلث في برجه وكاتب ينز مكث

كو زهرة ولام شمسنا ومه مريخنا ومشترينا عامه

ولام أشهر يقيم الكيوان وبيت هذا البدر قالوا السرطان

والكاتب الجوزاء والعذرا وزد لزهرة ثورا وميزانا تجد

والليث للشمس وعقرب حمل الأحمر والجدي والدلو زحل

والحوت والقوس هما للمشتري ويوم الاثنين رووا للقمر

والأربعا لكاتب والجمعه لزهرة والأحد الشمس معه

خميس مشتر ثلاث الأحمر وسبتها لشيخهم الأصفر

فالمشتري الزهرة بدر لاحرج فيها وغير فيه والعين امتزج

وللبروج ضابط قد وضعه بعض الأجلة أرى أن تسمعه

كاف سننذر تعج فتسأل ثمي غرنذر سعج جمستل

خير عباد الله من يخشاه إياك يا أخي أن تنساه

قد انتهى المختصر المقصود وربنا لاغيره المحمود

سميته المقنع في علم أبي مقرع أبغي نفع أمة النبي

أبياته ضحى وعامه شم مصليا على الرسول الهاشمي

وقال في تقاف العقرب:

أمنه تكتب رقاع العقرب الى ثلاث مايه فلتكتب

ولفظهن ان ضجت غير عقت قط قرست أيقن بها ان كتبت

ثم اكتبن آية نوح للعالمين وعلمنها ثم كن بها في امين

الحمد لله العلي وعلى خير الورى وآله ذوي العلا

أزكى الصلاة وأقول بعده يا طالب الكيمياء جهده

خذو استعن بذي الجلال الصمد صابونك المغسول والجبر الصد

مع سرمق يا ولي خليل قطره بعد الخلط والتفصيل

خمسا بها واحد تكرارا ان فقد الخل فقلب سارا

والق فيه كلس بيض وزد من فرع البيض المحيا قوهد

واعقد بنار صفوة المحلولا واطعم به عقابك المقتولا

واصطاد به بعد حل عقربا في أرض فخار تلظى واعجبا

فإنها قصير الشمس اذا ترمي بها أرضا على نار الجذا

والبدر ينشق لها انشقاقا فيمنعان عبدنا إلا باقا

واشكر لله يزدك في كل حل يافق وعدك

ومنتهى سلامنا الرسول بعد آله ثم الذي يقول

العلم في الراس وفي العينين لاكن تبقا صنعة اليدين

وكل علم ماله إسناد لابد أن يدخله الفساد

الحمد لله الذي قد شرعا   لنا الآذان والاقامة معا

وجعل الآذان خير طاعة   لفاعل إخلاصه بضاعة

وصل يارب العلا على من   أرسله ليهتدي من امن

سيدنا محمد وآله   وصحبه مبلغي أقواله

وبعد فالآذان في هذا الزمان   قد تركت خطته بعض لحن

واهملت سادة الاقوام   لايتعاطاها سوى العوام

فافسدوا ألفاظه وصاحوا   بهن كيف اتفق الصياح

والقصد ان أنظم في أحكامه   وضبطه لهم التي تمامه

كذاك في الاقامة المعتمده   مع زيادة له مفتقره

لعل رب الخلق أن ينفعهم به   ويعظم الثواب معهم

أسئله سبحانه قبولا   ينهلني من فضله وصولا

القول في تبيين أحكام الآذان   وضبط ما فيه من ألفاظ حسن

وفي الاقامة مع الحكاية   لم له بذلك العناية

من كل سني وكل مبتدي   وغير هاذين بذا لم اقصد

فالقصد في الشرع به الاعلام   بالوقت كي ينتبه الانام

من أجل يشرع فيه المد ورفع صوت و

والوقف والجزم أواخر الكلم مرجع الشهادتين قد علم

لاكن بارفع من الصوت الذي في أول الاذان ياذا المحتذي

ثم الاذان سنة لكل جماعة تطلب من تصلي

معها يعرض الوقت حتى الجمعه وقيل وجب لها ذي فارعه

ولا تقدمه على الوقت سوى الصبح كل سدس الليل روى

وهو شيء ولو الصلاة خير من النوم حكي الزوات

لاكن في آذان صبح يعدا حي على الفلاح هذا يمدا

ولايجوز الفصل فيه يجتبى بأن تشير سام

وان يقع فصل فشيء فائق وان يطل فابتده لاتبق

وصح بالاسلام والعقل ومن مذكر يكون بالغا فدن

ويستحب صيت مرتفع وقائم مستقيم مسمع

وطاهر ثم لغير القبله ان كان عذر تمثل السماع له

وجاز أعمى وتعدد منهم لامغربا كذا واحد من شانه

وجمعهم كل على اذانه يسر بصوت واحد من شانه

ويستحب للمسافر الاذان كما أتى عن النبي ذي البيان

وان يكن ثقة المؤذن عارف الاوقات فذا يؤتمن

وجوزوا أجرته على حده أو مع صلاة لاصلاة مفرده

بل كرهت مثل السلام الندب على المؤذب مع الملهب

كإمرأة ذات شباب ثم من بحاجة الانسان يقضي فادمن

كذا اذ ذو لهو وذو معصيه في حالة اللهو والمعصيه

حكاية المؤذن تسحب لافي الاقامة هداك الرب

تحكي منتهى الشهادتين مثنيا له بغير مين

مصاحبا له وفي النقل ولا يحكيه في الفرض لكي لايبطلا

واحكه من بعدما يؤذن او قبل ذلك فكل حسن

...

ولما رأيت الشيب يوما في وجهي تمثلت بشاهد من شواهد الخليل بن أحمد رحمه الله في مخلع البسيط وهو قوله:

أصبحت والشيب قد علاني يدعو حثيثا إلى الخضاب

وصدرته فقلت:

أصبحت والشيب قد علاني وبزني حلة الشباب
إذا تلمحته بطرفي يدعو حثيثا إلى الخضاب

قال رحمه الله في رثاء ميمونة بنت عمر الأنصاري:

يا دوحة في رياض حضرة القدس   عليك مني سلام طيب النفس

وقد خرجت من الدنيا مطهرة   عرضا ودينا وأخلاقا من الدنس

وقال في رثاء الشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر، وكانت بينهما مودة ومعرفة:

قد انشب الموت به عام نشب اظفاره ومابس الموت هرب

ولو اتيح كل امريء ماقد طلب فديته بالروح من بعد النسب

لله ما خولنا وما سلب

وقال

من لم يكن يرضى بما قد قسم فهو ظلوم ظن أن قد ظلم

يسخط حيث السخط لايقتضي نفعا ولكن حده قد علم

وكتب إلى الأديب العلامة أبي زيد عبد الرحمان التنمارتي في التهنئة بالولد:

بشراك بشراك شيخ الفضل بشراكا ليهنك السعد والإقبال أمراكا

فمن مجل يريد السبق في كرم ومن مصل يريد السعد إدراكا

لقد قنصت المعالي إذ نصبت لها من حسن ظنك بالرحمان أشراكا

أصبحت غنتك طير اليمن منشدة بشراك بشراك شيخ الفضل بشراكا

يا طالب السر في الاوفاق مجتهدا خدل غنيا بايجاز واجمال

اجلها ما خلاهم مركزه دمعا ونفعا باسراع واعجال

بالجيم سر الكب ثم واو كإ وكاف طي يو للياء والدال

يد لباء وزي بي ويه وها كروحا كه لعا اهمال

...

وقد نظم محمد بن الحاج قصيدة طائية عجيبة، إلا أنه اقتصر فيها على نقل ابن عرفة وقد زدتها ستة أبيات، ذكرت فيها مابقي، وكيفية العقد وجمع العدد وهي هذه

إذا شئت عقد العد للفرد خنصر وبنصر الثاني وثالث الوسطى

مشددة التعقيد إن شئت رابعا فخنصرك ارفعها بمقدار ما انحطا

وللخمس سرح بنصرا بعد خنصر وإن ستة تبغي فعوض بها وسطى

وفي سبعة عوض بخنصر بنصرا وثامن إن تقرن بها بنصرا شرطا

وللتسعة ابسط كما قد ذكرته محدة للكوع تحكي بها محطا

وذاك مدار البدر عن زيد عانس له كوكب بالغرب نيط به نوطا

وسبابة مدد لعشرين بعدها إلى ظفر إبهام تلحقها ضغطا

ويعقد من يبغ الثلاثين صورة كملتقط حبا ومن خاط أو خطا

ومن يبغ عقد الأربعين فإنه يركب من إبهامه طرفا فاقطا

ومن تحته سبابة مد قدها ومن طلب الخمسين إبهامه حاطا

وستون من يعقد لها ضاربا بسبابته دورا على بهمه ربطا

ومن يعقد السبعين في العقد وكرة وعقد الثمانين يرى الوكر ممتطا

يركب من إبهامه فوق ظفره هنالك من سبابة رأسها ضبطا

ومل عند تركيب إلى شكل جوزة متى تعقد التسعين واشددهما عطا

وفي كفك اليمنى تصور كلما ذكرنا الى التسعين فافهم ولا تبطا

وفي كفك اليسرى المئون تصورت آلافها أيضا كذاك ولا تخطا

فإن شئت عقد المئين فوصفها كما العشرات التسع في كل مانعطى

وآلافك اعقدها احادك التي مضت وإلى تسع تناهت ولا خبطا

وإن عدد يوما تركب فاجمع بكفك أو أعقده بكفين إن شطا

وصل على المختار دأبا وآله وأصحابه الأخيار ذي الحمل والأعطا

الحمد لله الذي لا تحصى نعمته بالعدد المستقصى

ثم الصلاة مع سلام الرب على النبي وآله الصحب

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعدا او تنزل

وبعد فالناس إلى حكم الدجاج وأكلها في غاية من احتياج

كذا رؤوس الغنم المشوية فيها نجاسة الدما مطوية

كذلك القدر لدى الفرناطشي تطبخ في رمادها بالأرش

ونحو ذاك الحكم في الجلاله مع الجراد وابتغوا حلاله

إذ أهملت أحكام ذلك لدى زماننا لم يبحثوا فيما بدا

وقد رأيت في الدجاج نظما ينسب للهبطي وما أتما

وفيه إشكال وكسر ما احترز منه فأصلحت الجميع في رجز

سميته بتحفة المحتاج في حكم أكل الناس للدجاج

ومن إلهي الكريم أرجو قبوله ونفعه لأنجوا

فصل من الدجاج ما يبخلى ومنه محبوس بقفص حلا

أما إذا ذبحة ذات القفص فلتغسلن مذبحها واستقص

عند ذكاتها بقلع الحلص والودجين دفعة بالرفق

بكل شيء جارح محدد والسن والظفر مع الوصل أردد

فإن أردت نتفها بالسلق فذاك جائز بغير شق

من بعد غسل الدم من رأس ومن ريش ورجلها , وحيثما تبن

وان تشأ نتفت ريشا باليد وان تشأ قصصه عن جسد

وإن تشأ احرقته وان تشا طبختها بريشها مع الحشا

ثم كل اللحم ودع عنك الذ تعافه النفس وزبلها التذ

أما المخلاة بلا قفص فلا بد من الشق لهاف تغسلا

من بطنها ازبالها والحوصلة تتبرع مع جلدتها مكملة

كذاك فانصتها تشق وغسلك الازبال حق

ثم إقلع الجلدة منها الصفرا واغسل مصارين وعنقا تبرا

ثم إغسل الحلقوم مع مخرجها وكل مخبع كمثل فرجها

لأنها مسالك النجاسة أعني التي تأكلها المخلة

وغسل ما أصابها من الدمل في ريشها او جسمها تقدما

حينئذ تنتفها بالسلق أو بيد أو قص أو بالحرق

واطبخ وكل من بعد ذاك الشقا فإنها من طيبات الرزق

فإن سلقت ذي وذم من الدم تجدها شرعا من المحرم

كذا المخلاة التي قد سلقت مع زبلها فهي حرام حققت

زكل ماقد قيل في الدجاجة مالديك مثلها بكل حاجة

كذاك كل طائر مباح تفصيله كمثل ذا ياصاح

فصل وان يمت بلا ذكاة فبيضه يحرم بالوفاة

وفاسد البيض حرام الاكلام وكل مايطبخ معه يا غلام

وان تكن طبخت معه بيضا صحيحة فهي حرام أيضا

وكل ماطيبه فخاره يحرم والقدر له انكساره

ان كان فخارا جديدا أو اغسل ما كان باليا كذاك فحصل

ولتغسلن البيض قبل شيها وقبل طبخها وكسرخيها

أعني من المخلا كذلك المجهول فاغسل غسلا

ومن تكن بيده فعرفت من قبل غسلها فقد تحققت

نجاسة اليد كذا ان وضعت في الما القليل وكذا ان غمست

وان طبختها بذاك الماء فهي حرام دون ما امتراع

أردت بالقليل مالا يكفي في الطهر والكافي لكره

فصل اذا بهيمة تلتقط نجاسة تأكلها الاتربط

فاشرب لبنها على اختلاف فيه ولحمها حلال صاف

وان جهلت حالها فالغالب عليه يبنى حلمها يا طالب

وزبلها مع بولها منجس كزبل كل طائر يفترس

وبوله ولحمه مكروه وجوفه يغسل يانبيه

وكالجراد احتاج للذكاة بكل ما أدى الى الممات

مع قصدها وقيل لايفتقر لها وأول هو المشهر

من ذلك جاءنا الخلاف فيالتي في القدر حين طبخت مع ميت

أما التي في الماء ماتت فهي لا تضره مالم يغير فاحظلا

وذاك حكم كل من ليس له دم كذا إمامنا فصله

ومن حديث نقلوا مقالا نظمه بعظهم فقالا

احلت السنة يتتين ومثل ذا من الدما اثنتين

الحوت والجراد فيما قالوا ثم دم الكبد والطحال

وأما الرائش ان شويته من قبل غسل دمه رميته

كذاك ان حرقت منه الشعرا والصوف قبل غسله فليحظرا

كذاك ان أشعلت ناره بما كالزبل أو مثل القرون بالدما

وكل ما تشويه معه فحرام كذاك مايطبخ معه ياغلام

علامة النقاء يامن غسله خروج مابه كما قد دخله

الا من المذبح فالمطلوب غسل الدم المسفوح يامحبوب

أما دم اللحم فليس يخلوا منه الحياه فهو حل يحلوا

وبعد ذا تحرقه أو تشويه وكله فهو طيب بما فيه

كذا رؤوس الغنم المشوية في السوق قد عمت بها البلية

فالشيخ زروق وغيره نهوا عن أكلها وحرموها وانتهوا

لما ذكرناه من النجس شاهدته بالعين والتجسس

فصل وقدر اللحم حين تمشي بها لتطبخ لذا الفرناطشي

فشرطها يا صاح سد محكم بنحو كاغد وجلد يحزم

أو بغطاء العود أو فخار تلزرا حفظا من الغبار

والصق العجين بالاطرافي لسد منفس بدا أو خافي

وادخلنها في الرماد حتى يغيب ثلثها وكن ذا ثبت

ونح عن رمادها ثيابك فهو منجس اذا أصابك

إذ صاحب الحمام لايسخنه في غالب الابزبل يمكنه

ثم إذا ما طبخت فاجعلها في قفة أو نحوها واغسلها

بصب ماء فوقها حتى يعم كل الجوانب وسفلا ولتظم

ورضه بدفع مافي العادة كشأن أهل الفضل والجادة

فهذه الشروط بالتمام في كل ما طبخت من طعام

بحطب منجس دعاك ضرورة لطبخه بذاك

كذاك ان سخنت ماء الطهر فهذه الشروط أيضا تجري

وقل لتارك الشروط كلها أو بعضها تنجست فخلها

ثم صلاة ذي العلا والجود على النبي صفوة الوجود

وآله الاشراف والصحب الكرام وههنا انتهى النظام والسلام

وقال رحمه الله:

أمن رام وردا من مدام توسلي بأمداد وصل من طهور مسلسل

توصل إلى ذات النبي محمد برفع عمود النسبة المتأصل

بعلامة يقتاد في العلم رفعة به البدء ثم اتل اعتلاء إلى الأصل

عليك به فاقبل قلائد هديه لدى السيرة العظمى لجيدك فاقبل

سقا الله ترب قبره من غمامة شآبيب أنس من رحيق معجل

وذلك عبد الله من علي بن طا هر حسن هو ابن يوسف فاعتل

علي هو ابن الحسن بن محمد إلى حسن من قبله قاسم جل

محمد الأسمى أبو القاسم الرضى محمد المتلو بالحسن العلي

وصلهم بعبد الله وصلا إلى أبي محمد هم من أصل عرفة معتلى

إلى الحسن المولى أبي بكر الذي أبوه علي منتمي حسن صل

وأحمد إسماعيل نجل القاسم محمد عبد الله من حسن يلي

إلى الحسن السبط علي الهدى والندى وفاطمة بنت النبوءة أوصل

عليه صلاة الله ثم سلامه يعمان كلا من تلاه التوسل

بأحسابهم رب العباد تولني برفقك في الدارين رفق تحمل

وحطني بسور من سرادقك الذي أدرت على نادي النبوءة موصل

وكن لي بالإفضال فضلا توفني على ملة المعصوم فيهم فكمل

فدونك نظما فاح مسكا ختامه لمن رام وردا من مدام توسلي

وقال مؤرخا وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد بن ناصر عام خمس وثمانين وألف:

أيا زائرا لا تعدوا عينك عن سنا ضريح أبي عبد الاله بن ناصر

ضريح التقى والزهد والعلم والرضى فائح عباد الله بدوا و حاضر

فإن تعتبر وفاته فهي شفه وان تعتبر تازحوه فيذاكر

وان تعتبر أيام مدة عمره دليل نصيح فهي عدا لمآثر

ونبه إلى مايقع فيه المغترون بطلب الأموال من الدفائن والكيمياء:

خليلي إن الربح في العلم فاتركن سبيل الكنوز الباطلات الكواذب

فذلك وسواس الشياطين للفتى يصدونه عن كل ندب وواجب

وتالله يا مسكين لو عشت مده كمده نوح لم تعش غير تاعب

وكم مغرم بالكنز يلهث إثره فمات ببير أو كهوف الشناخب

فمات ممات السؤال متشهدا على حبه، كم من فقير وطالب

ولا تلتفت للكيمياء وأهلها فما ثم إلا الغش دعه وجانب

ولاتك مغترا بزخرف قولهم فذلك إفكهم لقصد التجارب

وبعضهم يدلي بذلك حلية وكيدا لأخذ المال من كل راغب

وكم طالب قد ضاع في ذاك عمره غريب، فقير، تائه فيه غائب

وأقرانه نالوا العلوم وبعضهم بتجر وحرث نال خير المكاسب

إذا شئت كنزا ينفد فاقتنع وبادر إلى درس العلوم وواظب

...

وحين جاور الشيخ محمد بن عبد الله السوسي المراكشي في تلك السنين بالحرمين الشريفين اشتاق -يعني المرغيثي- إليه كما اشتاق إليه الفقراء، وشكوا إليه أمر بطئه عنهم إذ كانوا يرجون إيابه للمغرب، فعمل أبياتا يطلب فيها النبي صلى الله عليه وسلم ويسأله تسريح الشيخ إلى المغرب، لأنه كان يعلم أنه لايأتي إلا عن إذن، وأمر الفقراء بقراءتها، وبلغت إلينا بالزاوية البكرية حينئذ، ولم يتعلق الآن بحفظي منها إلا ثلاثة أبيات هي أولها وهي هذه:

يارسول الله إن الفقرا قد شكوا من فقد خير النظرا

شيخهم وهو ابن عبد الله قد حملوا من شوقه مابهرا

يارسول الله سرحه لنا أنت ذو الحق وخير النظرا

وقال في مجلس درسه على البديهة:

ألا يا نسيم الأربعاء الذي سرى عشيتنا أهل يسائلك طالب

وقال لهم: أجيزوا؟ فقال ولد له رحمه الله:

لعلك عن يوم الخميس تخبر

وقال المرغيثي:

فشوقي إليه حاضر وهو غائب

وبعث إلي العلامة ابن يوسف بطاقة فإذا فيها أبيات نظمها ووقف فطلب مني الزيادة عليها، ونصها بعد إصلاحها والزيادة على ما نظمه وهو أربعة أبيات الأول:

يا من صلاحي بأمره في قل أمري وكثره

فامنن علي بحج للبيت ربي وبره

فذاك أقصى مرادي من الوجود بأسره

وليس ذا بعزيز فامنن علي بأسره

أطوف بالبيت سبعا والحجر منه وحجره

معفرا في مقام للوجه مني وخده

وفي المسيل بسعي إقباله ثم كره

أعلو على مروتيه لكي أفوز بخيره

وفي منى بالمنى قد يفوز عبد واجره

وعرفة الخير يأتي معظما شأن قدره

مشيا به أو وقوفا يدعوك في كل أمره

وفي المصلى يصلي عبد لغفران وزره

محسرا علميه والمازنين بحره

يحضى بزلفى مبيت ورمي حصباء جمره

يا فوزه بمناه لدى منى يوم نحره

وللطواف يوافي يقول فيه بجهره

يا رب عبد ضعيف يشكو إليك بفقره

أسير ذنب جناه يرجوك في فك أسره

سهل علي ارتحالا إلى النبي وقبره

آتي إليه ودمعي كالوبل في حين همره

يبغي العبيد جوارا يرجو قبولا لعذره

لكي توافي المنايا بحسن ختم لعمره

وأن يكن شفيعا في عبده يوم حشره

صلى عليه إلهي ما طاب ناد بذكره

والصحب والآل طرا وذي انتصار وصهره

وكتب للأديب أبي زيد عبد الرحمان التمنارتي:

على شيخنا المبرور والسيد المجد أبي زيد المرضي ذي السعد والمجد

سلام زرت بالمسك نفحة نشره يروح ويغدو بالبشاشة والحمد

أجب سيدي من كان للعلم طالبا يسائلكم في الغسل للذكر المهدي

إذا لم يقع إلا بعيد وضوءه أيطهر بالأحجار قل لي بما تبد

فأجابه:

واذكر سلام يحكي منفتح الورد ويزري بريا المسك ونفحة الند

عليك أبا عبد الإله محمدا أخا الكد في فهم المسائل والجد

فهاك جواب ماسألت فإن أصب وإلا فقدري قام بالأعين الرمد

فمن يمذي من بعد الوضوء فحكمه كما في الذي يمذي على أول القصد

وإن شعر الإنسان يوما بمخرج تفاحش للتلويث أو يشبه اللبد

فلابد من ماء يزيل لأنه كمنتشر من مخرجيه على بعد

وإن خف كالمعتاد فاجز بجاركم بقيت بقاء الدهر متصل السعد

وقال في مدح كتاب ورد عليه من إخوان:

وشته يد الآداب فاعتدلت به تقاسيمها فالحسن عند ابتسامه

فما استوقف الأبصار إلا وقد جلت به كل لون من بديع اقتسامه

تضوع نشر النثر منه كأنما تدفق في الكافور مسك ختامه

تلألأ زهر المجد للعين فيه مذ أفاض عليه الفكر صوب غمامه

فسرحت طرف العين في روضه وقد يذكر جمع الشمل حسن انتظامه

ليالي كانت غرة الدهر فانتضى على الشمل فيها البين عضب حسامه

فهل كان إلا ومضة فسرورها أمور تتعاطاها أمرؤ في منامه

حنانيك فاصبر ان ربي بفضله سيعقب عسر البين يسر التئامه

وقال أيضا:

من لم يكن يرضى بما قد قسم فهو ظلوم ظن أن قد ظلم

يسخط حيث السخط لا يقتضي نفعا ولكن ضره قد علم

وقال في الشيخ محمد البكري الدائي:

هذا الآل بنت فاطمة محمد البكري الرضى العلم

قد سار في رجب لله عام مشوا به إلى جنة الرضوان والنعم

من أجل ذا قام في تشريف روضته محمد الشيخ مولى العرب والعجم

ولي كاتبا إلى الفقيه الأديب سيدي علي بن الحسن المراكشي مستعطفا له لقراءة البخاري على شيخنا سيدي أبي بكر بن يوسف السكتاني:

أبا حسن مالي أراك تنكبت عزائمك الغر العظام عن الرد

أتترك أصلا كان فيه اجتماعنا مع المنذري سيين في طلب الورد

لماذا وأن الشيخ فينا ميسر زعيم بتحقيق الرواية في القصد

ذهبت من الإهمال في غير مذهب فما هذه والله شيمة ذي المجد

وذلك أنه كان يقرأ على شيخنا سيدي أبي بكر السكتاني كتاب "الترغيب والترهيب" للمنذري فدعوته لقراءة "جامع البخاري" وكان ذلك في رمضان، فأجاب بهذه الأبيات:

صدقت أبا عبد الإله أخا وهمتكم تربو على الضمر الجرد

عزائمي السوآء الخساس تصدني عن الرشد حتى ما حصلت على الورد

وآرائي السفلى تسفسف حجتي وإياي في يوم القيامة قد تردي

وأعمالي المدخولة القصد كلها على كل حال أوجبت في الورى طردي

فأنتم ومن ضاهاكم أهل نجدة ومجد وجد كيف بينكم سردي

وأنت ومن قد قال قولك إخوة لنا فشذاكم يزدري بشذا الورد

وإني بين الناس لست بلائق سوى لجلوس في رحاب ذوي الزرد

فليس يوازي ذو الجهالة والعمى بذي الزهد والتقوى ولا العالم الفرد

وفيها لزو ما لا يلزم من البديع.

وقلت كاتبا لها على "تحفة" أبي عبد الله سيدي محمد بن يوسف التاملي التي نظمها في قراءة الشيخ عبد الله المكي حين أطلعني عليها:

أقول وقد وافتني اليوم تحفة تقر بما فيها عيون شواهد

نعم تحفة الطلاب والله هذه تحقق لها منها عليها شواهد

وقلت للكاتب أبي عبد الله بن يعقوب معتذرا عن هفوة:

لقد طال ما أودى بنفسك شاد   من الورق أوهاج البلابل حاد

وللحب واد ما فهمت عبوره   فهمت به والحب أوسع واد

وضاعت لك الأوقات في شاغل الهوى   ولما تجب الآن كل منادي

حنانيك جل القول فيك وإنما   عذيرك من يدري الهوى ويحادي

ومن لك بالدر المصافي الذي اتدى   من الحكم والتسليم كل نجاد

كمثل ابن عبد الله وأنظر فإنه   جدير بما يهواه كل فؤاد

فاعمل مطايا الغدو واقصده ولتنخ   بساحته تظفر بكل مراد

وقل يا ابن عبد الله إن وسيلتي   وضاعة أقلامي ومص مدادي

تثبت فإن الناس كالنبت بعضه   قصير ولكن ضره متمادي

ورب دواء قد نبت عنه أعين   ورب أخ يخفي صميم وداد

فإما قبلت العذر أظفر بمنيتي   وإلا أمت غما وخوف بعاد

وقلت لصاحب لنا يكنى أبا غيبات:

أبو غيبات أنت كنت مولعا بهن حقيقا لا أبو حضرات

لقد بت مسرورا خليا منعما وحبك بالأشواق ذو حسرات

وكتب إلي الشيخ السيد الأستاذ أبو عبد الله بن يوسف التاملي بلغز ضاع عني لفظه في "كمون" وأنا إذ ذاك عطار فأجبته بقولي:

يا من يسائل عطارا بجؤنته مالا يبالي به ومنه مثمون

القلب في نومك الموصوف يظهره في كل حال من الأحوال كمون

وقلت مهنئا لأبي محمد عبد السلام بن ناصر الفاسي بولد ولد له:

بشرى فهذي نتائج الأمل بدت لعين الرجاء عن عجل

قد صدقت وعدها فساعدها هلال سعد بطلعة الجذل

والمجد حي غصونه سجدا نسيم اقتباله بلا مهل

وفاس في روضة الرجا قضب من الأماني قبل لم تمل

فقلت لما بدت تبشرنا بنجم سعد العلا على الدول

ليهن علياك بالسلامة يا عبد السلام أمتنان ذي الأزل

عقد بجيد علياك فصله بذرة المجد ليس ذا عطل

عناك في دوحة المناظر يا خيام يمن نفرة المقل

لقد حمدنا لك الإله فقد أتاك ما لا ينال بالحيل

فاحمد كثيرا شكرا لواهبه وسمه باسم سيد الرسل

إذ كان من فضله العظيم بلا شك حباك الإله فامتثل

أراك مونيكه بعزته قرة عين بجاه كل ولي

نهنيك أهل الوداد فيه لكي تهنا وتهنا بسائر السبل

إنا سقانا به مبشرنا كأس المسرة سل عن الثمل

غنى وكأس السرور في يده   بشرى فهذي نتائج الأمل

وقلت مخاطبا له عند أول ما لقيته بفاس عام 1031:

أخفت مودتها والشمل مجتمع تريك أن لا لها في الوصل من أرب

فاضطرها الشوق بعد البين فادلجت ودون أربعها مفاوز العطب

يا ليتها بالنوى تدري وما هجرت وليتني بالهوى أدري ولم أغب

فأعجب لقلبين في جسمين مختلف إحداهما اليوم لا ما فيه من عجب

قلبي لدى جسمها المياس ذو وطن وقلبها عند جسمي أي مغترب

ارحم ذا البين بين الغائبين فقد أو ... حتما ذو كرب

لكن لي فاقد إلى مكاتبة بها إذا شئت استرقي ذوي الأدب

لعل رقية سحر من بيانهم تجتلب القلب يوما أي مجتلب

إذا سلاما الذي أهدي لذي كرم عبد السلام سلامي أم يد القرب

يد الهوى من محب عنده شغف تبتغي القبول على الإلحاح في الطلب

مددتها في بسيط الغرب ضارعة لكامل وافر الإدراك للرتب

يا هل تراها تريك عند أوبتها حسن القبول فيا سعدي بمنقلب

فأجاب:

أبدت سعادي محياها بجنح الدجا فأشرق الجو والآفاق في طرب

فصار منبعثا إلى مصالحه كل الأنام بلا مين ولا كذب

واتضحت لذوي الألباب سبل الهدى ما ضل سار بمهمة ولا حرب

ودار أنس الشجي كسا معالمها ظل أمان بدا من ربعها الخصب

كذا حرارة نار الشوق اطفأها ماء الوصال بعيد سورة اللهب

روى بشارة نظم الشمل عن كامل سريع نيل المنى من غير ما نصب

طويل هجر مديد عاق وافره مجتث حبل النوى عن رأي مقتضب

وصار بحر الهوى ولو بسيطا على أهل الهوى خفيفا ليس ذا تعب

ومن يكن بمغاني الغيد ذا شغف ففي لطيف المعاني منتهى أرب

توجهت لي رسالة أخي ادب يشفي العليل تعاطيها من الوصب

جاءت على رسلها تميس في حلل من حسن أسرارها تمايل القضب

هي الالي تضي منها الليالي حلكت حديث هيفا ازدهت بثغرها الشنب

وقر عينا بمعناها مطالعها إذا عذب ألفاظها أحلى من الضرب

ليست تعارض إذ سمت بلاغتها سل عن المجد هل ينقاس باللعب

وما الجواهر بالحصباء قيست ولا أن التراب يحاكي خالص الذهب

قد عجزت فصحاء الوقت عن مثلها كيف يعارضها غمر جهول غبي

لما عرضت على فكري معانيها قابلتها بالقبول إذ نفت كربي

أزكى السلام على محمد وعلى أهل الدراية من عجم ومن عرب

وقلت حين توفي الشيخ البركة السيد محمد بن أبي بكر صاحب الدلاء وكتبتها في قبريته بإشارة السلطان مولانا محمد الشيخ: أصلحه الله وأصلح به وذلك عام ستة وأربعين وألف في رجب الفرد عند عصر يوم الأربعاء الحادي عشر فيه:

هذا ضريح التقى والمجد والكرم هذا الولي الوفي العهد والذمم
هذا المحب لأهل البيت قاطبة محمد بن أبي بكر الرضى العلم
قد صار في رجب لله عام مشوا به إلى جنة الرضوان والنعم
من أجل ذا قام في تشريف روضته محمد الشيخ مولى العرب والعجم

وقلت سائلا في بعض فروع الظهار وهو قول الإنسان لزوجته يا أختي:

يا أيها العالم النحرير فاستمع شكوى محب ولوه حين يشكوها

فما تقول حياك الله في رشإ كأنه قمر والشمس يعدوها

لما رأته من التسبيح يا أسفا قلت له منكر الأقوال مكروها

محبة وحنانا وملاطفة لكنه للتي أعنيها ينفيها

قد أسرتني بها أعداء بينة يا ليتني لم أكن في الدهر أبديها

لا مثل اسم بن حمدان قد سجعت ورقا فأنشدها شكوى ويعنيها

فك الأسير أعز الله قدركم حتم ونفسي كاد الأسر يرديها

قد صدعني صدودا لا أطيق له صبرا ورحمى إلهنا أرجيها

وقلت متغزلا:

سليم الحشا حبي وقلبي به ضني وإني لمضنى القلب وصل سليمه

متى ما شكوت الهجر أو ألم النوى فقل عن دعاوي الهوى لا صميمه

وإلا فمت وجدا بنا أودع الهوى إذا لم تطق صبرا لكتم أسيمة

وقلت في الإجازة لبيت "أضاعوني..." البيت:

غفلت عن الشباب لغير عذر فأمهلني الشباب رجاء ذكري

فلما أيئسه كذاك حالي تولى وهو ينشدني بجهر

(أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر)

وقلت في يوم الاستراحة وهو يوم الخميس:

ألا يا نسيم الأربعاء الذي سرى عشيته أهل يسائلك طالب

لعلك عن يوم الخميس تخبر فشوقي إليه حاضر وهو غائب

فتخبر هل في باله أن يزورنا على أنه لو زارنا فهو ذاهب

يحي هبوب منك غصن استراحة فيهتز للتسليم والرد واجب

وقلت في التشوق للحمراء وكنت عنها غائبا:

ألم تر البدر في الخضراء قد نصعا وانتشر النور في الغبراء منطلعا

يحكي الخليفة في أرباب دولته على بساط حرير أخضر وضعا

ناديته رافعا صوتي وقد أخذت مني الهموم فخلت القلب منصدعا

يا أيها القمر الملقي أشعته على البطاح وزان الليل إذ سطعا

بالله غب ساعة ما زلت تذكرني عهدا مضى لي مع الأحباب وانقطعا

عهدا مضى لي في الحمراء مذ زمن تقطعت كبدي من ذكره قطعا

فصحت، والقوم في بحر الكرى غرقوا : واكبدي، وافؤادي، واحشاي معا

أبيت مثل سليم بات مشتكيا من سم رقشاء ما ينفك متجعا

يا هل تبلغني الحمراء ناجية من العتاق تفوت الطرف متبعا

كأنها البرق من حين أزجرها زجر الغريب إلى الأوطان مندفعا

أسري بها سحرا وأضحى مصطحبا عذب الزلال بباب الرب إذ سمعا

مخلفا درنة خلفي وواديها على المسرة ذات السر مطلعا

وهل يزول بعطوش لنا عطش أم بالمواس يمسي الشمل مجتمعا؟

أم تبصر العين بعد اليوم صومعة فيها العلام لفرض العين قد رفعا

كأنه حين يهوي بعد دعوته نسر على الأرض من أجرافه وقعا

أم تسمعن أذني ترديد حيعلة إذا المؤذن فيها بالآذان دعا

لهفي على العلوي من جوامعها إذا الأحبة بعد العصر قد جمعا

لهفي على العبدلية التي جمعت قبابها سادة ممن قرا ووعى

فمن لرجلي تمشي فوق مرموها وأتلوا الذكر والبطال قد هجعا

أنى لعيني ترى باب الخميس ومن لي أن أزور أبا العباس منتفعا

ومن لنا بعياض أو بجيرته او كدية النور حيث النور قد لمعا

بباب أغمات آمالي وأوردها حوض الكريم سهيل لا أرى فجعا

وهل أرى السيد العصفور مرتجلا عنه إلى السيد التباع منتجعا

إلى الجزولي ثم ابن العريف إلى ابن ن برجان وكان سيدا ورعا

لذاك أصبو ولكني أرى شغفي لقبة الشرف الغراء قد نزعا

وقد أسال عليها الجفن أدمعه فكاد يبدي دما من بعد ما دمعا

أزكى السلام لمن أثوي الحمام به ما حن شوقا حمام الأيك او سجعا

بهم سألتك يا رحمان أنت ترى سؤال عبدك باب الفضل قد قرعا

حقق رجائي ربي مع الأحباب ومن أنشد أو قال امين إذا سمعا

قلت، وقد شاورني أخي أبو القاسم على الشرط لتأديب الصبيان في بلدنا بسوس. موصيا له إذ أبى أن يرجع عن الشرط معهم ومحذرا له من مقت الله ومقت العباد، إذ لا تخلو منها تلك الحرفة التي ابتلاها الله بها معاشر الطلبة:

أبا قاسم فاسمع هديت وصيتي تفدك على مر الزمان أمانينا

فإن كنت بالتأديب دهرك مولعا فدونك واحفظ يا أخي مقاليا

فنفسك أدبها وهذب طباعها وكن للذي استرعيت من ذاك راعيا

وخلص لوجه الله فعلك واجتنب هوى النفس وانظر في العواقب ما هيا

ولا تتحدث للصبي ولا تكن ضحوكا إليهم لا تكن متلاهيا

وميز لبيبا من بليد مقابلا بما يستحق الكل لست مساويا

وإياك إفشاء السرائر للورى ولا تك مهذارا ولا تك فاشيا

وإياك غياك المنام بكثرة فإن كثير النوم يبدي المساويا

فمن سوء ما يفضي به النوم للفتى قساوة قلب بئس ما كان قاسيا

وتنسى حقوق الله فيه وبعدها تكون لحق العبد لا شك ناسيا

فيمقتك الرحمان والناس كلهم كذا السهو مثل النوم لا تك ساهيا

وأقلل مزاحا واعتزل من جماعة تعظمك عين الناس ما كنت نائيا

وإن عن أمر في دناك فشاورن أولي الرأي من أهليك وامضه ساعيا

ولا تتجاوز قول عم ورأيه فأعمامنا حصن لنا كان عاليا

ومهما سئلت عن مسائل فليكن جوابك: لاأدري يفدك معاليا

ولا تركنن للناصحين جميعهم فتودعهم سرا وقد كان خافيا

فما كل من يبدي لك النصح ناصح ولكن فجرب واختبر متوانيا

فهذي عن النصح الصحيح وصيتي فخذها يفدك الله ماكنت راجيا

وقلت لشيخنا أبي عبد الله المكلاتي العالم الأديب، على شأن مشاجرة كانت بينه وبين أخينا أبي عبد الله بن القاضي المكناسي النسب الفاسي المنشأ والدار في الأدب. وكان ابن القاضي يدعي فيه مالم يظهر له سمح الله لنا وله:

سائله فلم سلا وسلاني فتسليت عندها عن هواه

لا، وحق الهوى، أخال خليلي كم سقانيه من أواني الهوان

أبطلوا في هواه دعواي قالوا طوع أيدي الوشاة حتى جفاني

ما نرى سوى أخي من نراه ما له يدعي الهوى وهو هوان؟

ويجاري في حمقه فارس الا يدعي في الآداب مالا يعاني

ليته يدري أن شمس الضحى لم داب والمعضلات شهم الجنان

يا لعمري قضية أذكرتني يطفها النفخ من قديم الزمان

فأجابني:

حدها من إعجازها في البيان بلغته وهي بنت ثمان

خلصت لي عشية وهي بكر في حلى اللجين والعقيان

تتغنى حمائم الحلي منها هل شجاك الغناء بالألحان؟

زفها من بناته خير ملك هو أعلى الكتاب ذو سلطان

نصرتني أقلامه في نزال فيه تحلو عوالي المران

أيد الله أمره من أمير بايعت فكره رعايا المعاني

خفف الوجد يا شفيق وهون واشد بيتا يروي على الأزمان

من تحلى عمري بما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان

دم فريدا وواحدا في المعالي ما تغنى الحمام بالأغصان

ثم كتبت له على ظهر البطاقة التي فيها أبياتي هذين البيتين، استكتمتها مالها خوف الفتنة فقعل رحمة الله علينا وعليهما آمين:

أنشدك الله الذي لم يزل يبدي الجميل ساتر القبح

اكتم على خديمكم ما بدا منه وجد عليه بالصفح

وكتبت إليه:

سيدي وأسمى عددي، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أنهي إلى أنكم فيما قرب قد ابتعتم كتاب "حسن المحاضرة" لجلال الدين الأسيوطي فتاقت نفسي، أعزكم الله، إلى مطالعته، والله تعالى يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، ويلطف بنا إلى يوم نلقاه:

فؤادي قد جعلت الشوق زاده أبا عبد الإله فدا سلامي

أطاعته السماء بسيف لحظ لذي تيه إذا ما زرت زاده

وأهدى البدر حلته إليه فأهدت من كواكبها قلاده

وعندي من محبته ظهير وبايعه فوالاه القياده

فحلتني السماء به رداها قد أدت فيه عيناي الشهادة

أفاخر في محاضرة الهوى من ووالاني السهى دأبا سهاده

مفاخرة الأديب ذوي المعاني يباهي العاشقين ولي الزيادة

ألا فاركض برجلك كل ركض فألقوا عنده رسل السيادة

ثم ماطل في بعثه إلي أياما بحيث، استبطأته. فكتبت إليه عاتبا بتلطف:

بدري خطاف أفئدة ساحبا ردفا له ثقلا

قيل لي: حتى م تتبعه؟ قلت: ادر القلب ما فعلا

صحت: يا حبي ويا سكني غص لي قلبا بكم شغلا

قال: دعه يتعزولا تطمعن فيما لنا حصلا

قلت عدني إن شغفا بانتظاري كلما مطلا

وكتب إلي شيخنا الأستاذ أبو عبد الله بن يوسف سؤالا وهو هذا:

وأسود رأس شاخ من قبله ابنه ومن قبله نجل ابنه فهو أكبر

ترى ابن ابنه شيخا يدب على العصا ولحيته سوداء والرأس أشعر

وما لابنه عقل ولا فضل قوة يقوم كما يمشي الصبي فيعثر

وعمر أبيه أربعون أمرها ولابن ابنه في الناس تسعون أعمرا

ولابن له خمسون عاما وضعفها وعشر سنين تستزاد وتذكر

فما ذاك في المعقول إن كنت عالما وإن كنت لاتدري فبالجهل تعذر

فأجبته:

لقد طلعت شمس الأحاجي منيرة على أفق التحقيق بالصدق تخبر

فقلت: نعم يا أيها السائل الذي يسائل من يدري وبالجهل يعذر

فعمر عزيز، حين مر بإيليا كما قد روينا، أربعون تقدر

وقد خلف ابن العشر حين أماته إله الورى في محكم الذكر يذكر

وأوفى ابنه يا صاح عشرين حجة فكان له ابن هكذا يتصور

ولما وفت للجد من بعد فقدهم له مئة حقا، إذا هو ينشر

فقد صار كهلا شاخ من قبله ابنه ... وقد وهنت منه القوى فهو يعثر

فأما أصبت الحق فيها فإنما ... تفضل لي رب الورى المتكبر

فلما طالعه كتب تحته بيتين وهما:

أجدت لعمري في الجواب وإنما ... إلى الله تنتهي العلوم وتصدر

ولكن يخص من يشاء بفضله ... فدمت لحل المشكلات تصدر

وقلت لسيدي ومولاي وسبط محياي شيخنا القطب العلامة البحر الفهامة أبي عبد الله سيدي عبد الله بن علي بن طاهر، حين جئت للقراءة عليه وكتبت إليه:

عبيدكم بالمصطفى متوسلا إليكم فلا تجفوا فتى كان مغرما

هو ابن سعيد من خفرتم وقوفه ببابكم مسترشدا متعلما

يريد قراءة الحديث عليكم وألفية كانت لذلك سلما

وقلت لأخينا سعيد بن الحسن بن محمد التلكاتي، حين ماتت زوجته بنت ولي الله سيدي أحمد بن موسى السملالي على حروف قولك: ياسيدي سعيد ابن الحسن يا سعيد بن الحسن اصبر:

يسر الفتى إقبال دهر وفي زهوه لولا عماه، مناحس

إليك عن اللهو المشوم وسبله وسل أهل الربع والربع دارس

سل الدهر هل ينجي من الدهر ملجأ وهل دام محروس أو جد حارس

على أنه إن قلت للناس فايأسوا من الخلد فيها ما أجابك يائس

يسير أبا عثمان كل رزية لدى رزء من قد أعوزته الأوانس

دعاك الهوى مستعجلا فأجبته وطرف الهوى عن قرب جدك ناعس

بلى كان يقظان الجفون وإنما نوى الغدر فاستقص له وهو لابس

نعيت ببنت الصالحين ذوي العلا لها حسن تزدان منه المجالس

أنالتك مذ زفت لبيتك دولة أطاعك فيها الدهر فهو مسايس

لقد حسنت منها الخلائق وارتضت عواقلها ما استنكحتك الهواجس

حبيتم بفضل الله معشر قومها أجورا وكل في الأجور منافس

سمعنا حديثا في الرضى عن ذوي النهى عن المصطفى مما اصطفاه الممارس

نصوص كتاب الله حتى تلوتها   أراحتك وانزاحت بهن الوساوس

إلى م ونحن الغافلون عن الذي   تلا لديه أوجه ومعاطس

صرفنا إلى الدنيا وجوه قلوبنا   ونحسبها حمقاء بل هي باخس

بحور ذنوب قد تلاطم موجها   ونحن بها غرقى جميعا مغامس

رفعنا إلى المختار كل شكية   عليه صلاة والسلام يجانس

وقلت في حدود مهاب الرياح الأربع:

قبول سهيل مطلع الشمس قبله ومنه لبنت النعش تصبوا إلى الشرق

ومنها شمال الجوف هبت لمغرب ومنه دبور الغرب للسهل بالرفق

وقلت:

أيا لائمي في الحب والحب جامع على المرء أشتات الرزايا متابع

دع اللوم واعذرني فإن عذابه بأحشاء من يهوى ولابد واقع

تؤنبني عن أن أفيق وإنما تضاف لدى التأنيب فيه المواقع

وإني لما تبديه أدرى فما عسى عتابك يجديه فها أنا سامع

نفخت بريح العدل في جذوة الهوى فهاج لهيب الشوق والقلب سافع

وكتبت لمحتسب مراكش شكاية بالقصارين، فأنفذ الأمر، فغلبه عليه الولاة الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما:

ألا أبلغوا يا قوم، واحتسبوا أجري لمحتسب الحمرا الشكاية بالصخر

وقولوا إن الصخور عدت على ملابسنا ما للرعية من صبر

إذا كان يشكو العاقلون ببعضهم إليك لكشف الضر عن كل مضطر

فقد أصبح الأقوام يشكو جميعهم أذى صخرة القصار في السر والجهر

فكم يستجد المرء ثوبا فلم يفز بغلته إلا أقل من الشهر

ويلجئه البرد الشديد لبدله فيدفع أغلا قيمة الثوب للستر

أسيدنا: إنا استغثنا بربنا وعدلك، إن العدل جبر ذوي الكسر

فقد جعل السلطان أمر عبيده إليك حباه الله بالعز والنصر

وكتب إلي أخونا إبن القاضي وأنا بجبال غمارة مريض:

عوفيت يا معدن الأفضال ليس يرى حليف جسمك في طول المدى المرض

واركض برجلك ترى البرء حل بها قلب العدو لا سهم العدا الغرض

واقر حديث الشفا في القلب منك وقل لو لم أكن جوهرا ما مسني العرض

فأجبته:

ياسيدي طالما مست جواهرنا أعراضها يا ترى ينتقل العرض

شكوى محب إلى محبوبه دنفا بغصة البين بعد غصة الجرض

لا يعرف البسط أن تداركه سحر ببيانكم يشفى به المرض

ثم كتب إلي قول الشاعر:

فلا أختشي إن مسني وقع حادث فتلك يد حس الزمان بما تمضي

فإن عشت أدركت المرام وإن أمت (لله ميراث السماوات والأرض)

فأجبته:

لئن نالنا, والعبد في حكم ربه قضاء عزيز مكرم وفده المرضي

فلله منا الحمد في كل حالة على حكمه (رب السماوات والأرض)

وكتب إلي قول الشاعر:

ولما نأيتم ولم أستطيع أسير لحضرتكم بالقدم
سعيت إليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القلم

فأجبته:

ولما قربتم ولم أفتقد من القلب حضرتكم في القدم
غنيت إذا بانتشاق النسيم وبالذكر عن يعملات القدم

وفي دخول ينير مختصره نظمتها لبعض أصحابنا في رجز مشطور:

اجمع لما قد زاد بعد الألف مع

عامك يب وازدادفا منه دع

وهو د... بعد الألف قد وقع

وزد صحيح ربع لما اجتمع

فإن فقدت الكسر فالكبس لمع

وواحدا زد أبدا فهو تبع

وأبد لباق بعد طرح ما ارتفع

سبعا من الأحد أو سبعا تضع

تقف على أول ينير سطع

شعر قلته في جواب كتاب:

سلام محب سره من حبيبه　وصال جميل طالما ضره الهجر

فآنس من أفق المودة نارها　كإيناس موسى النار إذ ساءه الضر

وكتبت إلى أخينا الفقيه أبي العباس الزموري بفاس مع هدية:

أهدي إليك أبا العباس تسليما يصحبه التسعد إعظاما وتكريما

فاقبل هدية ذي الإقلال إن لكم في عذر أهل صفاء الود تقديما

وكتبت لبعض أصحابنا في أول الشتاء لبرنس كان لي عنده:

أبا حسن هل جاءنا ذلك الذي أعدت له يوم المصيف البرانس

وإلا فما للمزن تبكي عيونها ووجه السماء اليوم أسود عابس

وللرعد تهديد وللبرق هزة بسيف وجو برده متنافس

وقد أسرت شمس الضحى حين أطلقت بخيل السحاب المقفرات البسابس

فإن صح هذا فادركني فإنني جبان مجيد للفرار ممارس

وكتبت لشيخنا القطب سيدي الحاج عبد الواحد بن عاشر نفعنا الله به:

أيها القطب الذي دار به   فلك العلم لرشد وهدى

وعدا في الطب جالينوسه   لكم يشكوا الفتى الأنوه ذا

إن صفراء هوى النفس عدت   فغدت لما عدت فيه مدا

وجدت من ضربه الأمر دمن   أدب مطبوعها واكدا

يا ترى هل واجب تأديبها   بظهور أم إذا ما عمدا

وقلت مكاتبا بعض الإخوان في الله في علم الطريقة:

غزول الهوى رقت ورق غزالة وفي الأسر قلب الحب وهو مزاله

فيالغزال رق في حسن غزله وقد أعوز الفحص البليغ مثاله

ويا لأسير للهوى عز وصله وقد صرمت وصله وحباله

وأسراره مبثوثة لعدائه وأعيى عن الكتمان فيها احتياله

وأسرار ذا المحبوب ليس يبثها وذاك يقتضيه كماله

وكم حسنت بين الأحبة برهة من الدهر للصب المتيم حاله

فيا حسن عهد بين حب موفق وبين خليل لا يكون اختلاله

أبي إذا العذال سلوا سيوفهم وإن جالس المحبوب زاد اهتباله

وقد سرحت في مسرح الشوق نفسه على انه يغني الرسوم مجاله

ومازال يسعى إذ تجلى له طوى فناء فخاضته سريعا فعاله

ولما تجلى النور كان أنية على أعين الأشهاد كان مقاله

ولما تجلى الحب فيه وما زحت معالمه اياته وجماله

تتوج تيجان ألوهية وارتقى منابر تحقيق وفي ذاك باله

وقد زاد من عذاله العذل والأذى وماهو إلا قربه واحتفاله

نصال اتحاد سددوا في اعتراضهم ولكن ماثل النصال نصاله

وقال لسان الحال: (موتوا بغيضكم) وساعد قول الحب منهم فعاله

وقد شاهدت ماكان في الغيب... وجوبا وفي الإمكان كان محاله

وفي حضرة التحقيق دارت كؤوسه ونادم المحبوب جل جلاله

فيا نشوة عن سكرة قال عندها غزول الهوى رقت ورق غزاله

وقلت لبعض الطلبة وكان كتب إلي يطلب تغوير الماء:

خليلي إن الربح في الحرث فاتركن سبيل الكنوز الباطلات الكواذب

فذاك وسواس الشياطين للفتى يصدونه عن كل ذنب وواجب

وتاليه يا مسكين لو عشت مدة كمدة نوح لم تعش غير تاعب

فكم مغرم بالكنز يلهب أثره فمات ببير أو كهوف الشناخب

فمات ممات السوء لا متشاهدا على حبه كم من فقير وطالب

ولا تلتفت للكيمياء وأهلها فما ثم إلا الغش دعه وجانب

ولا تك مغترا بزخرف قولهم وذلك إفكهم لقصد التجارب

وبعضهم يدلي بذاك حباله وكيدا لأخذ المال من كل راغب

وكم طالب قد ضاع في ذاك عمره غريب، فقير، تائه، فيه غائب

وأقرانه نالوا العلوم وبعضهم بحرث وتجر نال خير المكاسب

إذا شئت كنزا فأقر لوحك غدوة وقم واقره في الليل يا خير صاحب

تنال كل خير والمهيمن ضامن لك الرزق كم من عاجز غير خائب

وقلت في التشوق:

يابارقا لاح للعينين من سوس   هجت فديتك، مني كل مدسوس

مازلت أذكر يوما كنت ثالثنا   لدى الوداع وجد السير بالعيس

لم أدرك اليوم بينا كان شامتنا   فيه ضواحك فرق ذات تجسيس

برق أوابله دمع سحائبه   نوق ورعد وعاد كل محلوس

وشمس أغيد جسم متضائلة   بين السحائب من ادم ومن خيس

وقلت للنفس: وادع من إذا رحلوا   سار الحشا معهم لاسير محسوس

وخلفوا عوضا عن المنى سهرا   فلا منام ولا مناك بالسوس

ونظمت في القرينان: أشهب وابن نافع:

إن القرينين صاح في اصطلاحهم هو ابن نافعهم مع ابن مسكين

والأخوان هما: ابن الماجشون إذا مطرف معه يروي بتبيين

والقابسي وأبو محمد عرفا شيخي علوم بتدريس وتدوين

والقاضيان ابن القصار الرضى معه عبد الوهاب أعني شيخ تلقين

محمدان: ابن حكم وفتى سوازهم هؤلاء الحفاظ للدين

وقلت لبعض الإخوان بفاس:

أتدري أبا عبد الإله وتهتدي وشلك يدري القصد دون تردد

لما وأن البيض في الناس جهة يوافيك بالتسليم هامة أسود

أجل إنما وافاك منه مجانس لأيام هذا البين قل إن تشا أبعد

ويذكركم أيام أنس توافرت على حسن شمل بيننا لم يبدد

لعل أمير الشوق يبعث جيشه إلى قلبك السالي المهنا المبرد

فيا عجبا ضدان فيه تجمعا وهل هو إلا الدهر ما ليس كالغد

وسلم لنا فضلا على عمك الذي به ننتضي سيف الحجا للمعربد

جعلتك لما أن تقاصرت دونه توسل تسليمي وسلم أسعد

وشم بعد في آفاق طالعة الهوى يروق وداد للخليل الممجد

وأهد إليه في حلى من بيانكم وأسجاعكم منا سلام التودد

نظمت الأقوال التي في الذرة فقلت:

دونك ما قال ذووا الأفهام في ذرة بالفتح والإعجام

فنملة صغيرة أوراسها في اللغة الأول قال قاسها

أو ماتراه من تراب يعلق بالكف بعد وضعها ويلصق

أوهي جزء واحد من شكر من حبة الشعير فأفهم رمزي

وقيل من شكر وقيل لا يرويه الأخالي السبع العلا

وقلت ملغزا في"إلى":

فيا مقرئا للذكر يحكم ضبطه   على السائر المعلوم فيه وفي الخط

فما كلمة فيه تعرت أصولها   من الضبط في المشهور عند ذوي النقط

وزائدها الخطي يسلب نقطه   ولكنه لابد فيه من الضبط

وقلت لأخينا السيد أبي القاسم بن أحمد الغول به عرف أستدعي كتابا ألفه بالرجز، في أصل الطاعون ومراده...

أبا القاسم المبرور هذا كتابنا إليكم بتسليمي عليكم مشيع
لعلك بعد البين والبعد بيننا وبين الذي نهواه يا صاح تجمع
وإلا يكن فابعث لنا بدلا له مع الحمد منه إن ذلك مقنع

وقلت في حمام الكتبيين أصف حرارته ونعومته:

فلله حمام بكتبية جرى علينا به الما سخنه والمبرد

وقلت لخلي، وهو يدلك بشرتي على زمزم والدلك منه مجود

سخنت وحق الله لو كنت جامدا لذبت بنار تحت جسمي توقد

وقلت في رد جواب مكاتبة:

يا لقوم لغرام قد شهر سيفه فاحتل قلبي واشتهر

صير القلب ذليلا خاضعا لحبيب صد عني وهجر

وليالي الهجر ما أطولها سيما قلبا عليها ما صبر

ثم إن الوصل يا صاح له ليلة أقصر من لمح البصر

وحبيب صادق هجرانه وإذا واعد ولى وغدر

بارق الوعد لديه خلب ماله في الوعد قول معتبر

لا كبرق جانب الحمرا أخا شمته ليلا بهيما فانهمر

عينه يحكي انهمارا ماؤها دمع عيني عن هوى الحمرا انحدر

بل هوى ساكنها من قبله مستكن في ضميري فظهر

صحت من أشواقهم: واكبدي بعدوا عني ومن لي بالخبر

سادتي إن لنا من حبكم شاغلا للقلب ما قط فتر

وسلامي رائحا مغتديا لكم أهديه ما عشت الدهر

ونظمت اللغات الست في الإسم وأصله على المذهبين:

وفي اسم لغات ستة فاعلمنها سما وسمى اسم اسم سم سم

وهمزة وصل من سما عند بصره وكوفيهم من وسمه الفرع ينسم

الزجر اسم بضم اول والكسر مع همزة وحذفها والقصر

وقلت في التعزية:

دعني فإني أرى الأيام مولعة بالشمت والقهر لا تبقي ولا تذر

يعقبن بالسوء ما يصنعن من حسن وقد تعري الذي بهن يستتر

لئن قضى الأبوان النخب وانفصلا عنكم تأسوا بمن قبل قد عبروا

تعزون ولا به لكم جزع فالموت لابد منه أيها النفر

من ذا الذي لايذوق الموت بعدهما أجل، وابن رسول الله ما الخبر؟

وقلت ملغزا في الدرهم المغشوش بالنحاس:

وبيضاء حمراء المباهم قدمت لتشفع لكن ليتها لم تقدم

تصرح بالتوحيد والشرك دينها تقول: أنا بنت الإمام المعظم

إذا لم تشفع يستبين حياؤها فتحمر منها الوجنتان كما الدم

وكم عاشق يصبو إليها لحسنها سقته بعد الحين كأس التندم

أحاجي بها أهل الذكاء مبارزا أبن ... مقدم غير محجم

لغز في زيتون لأخينا السيد عبد الواحد بن عبد المنعم:

وحاملة حدث لغير جناية بجد يروا جانيه ليس له ذنب

ومشهور أقوال لوضع جنينها تحد ولا في حدها أبدا عتب

تضيء به الآفاق عند بروزه ويسقط عنا بعد مسقطه الكرب

فيا عجبا من حدها بحكم قضاء هكذا حكم الرب

فأجبته:

أردت وحق الله ثاني أربع بها في ابتداء التين قد قسم الرب

ولكن فسل عن رب توت مصحفا وهل يجمع الزيتون والتوت والرب؟

وقلت متشوقا:

أمن بارق من سوس ذي لمعان .....

أرى منك نون العين مع طول ليلها وضب كرها ليس يجتمعان

نعم إنني مهما يهب عشية نسيم لنكباء القبول شجان

وإني اتهمت البرق شبرق ثوبه ليحكيه قلبي بغير ثوان

وإلا فمالي والفؤاد هفت به رياح الهوى مالي بهن يدان

فبث على حالين دمعي للثرى وعند الثريا ناظري وعيان

وجسمي بسجن البين بات مكبلا وبات بأوطان الكرام جنان

أبيت على جمر الهوى متقلبا وأضحى وطرفي نحو درنة وان

فخذ عهد أحوال خلون ثلاثة وهاتيك أحوالي كذاك تران

وقلت في الدعاء:

ويا حي يا قيوم يا باري الورى برحمتك العظمى أستغيث مناديا

أغثني فإنني يا مغيث بها فلا تكلني إلى نفسي فأنت عماديا

وأصلح إلهي شأني الدهر كله عليك اعتمادي في صلاح فساديا

إلهي بما في الذكر من كل آية تنبئنا بالحق بلغ مراديا

إليك رفعت الأمر سرا وجهرة وليس بخاف عنك سر فؤاديا

قلت في نظم معنى النفر، والرهط، والعصبة، والأمة:

ثلاثة لسبعة سبعة لعشرة والعشر للأربعين

لنفر والرهط مع عصبة فافهم وأمة لزيد يعين

وقلت في شروط أعمال المصدر:

إن صح أن يحل أن والفعل أو ماعه محل أي مصدر

مقدم وليس مفصولا ولو بالنعت مفردا وغير مضمر

وليس محدودا ولا منحذفا عملته وليس بالمصغر

غريبة: كنت أقرأ على شيخنا أبي العباس أحمد بن منصور الدرعي، فجودت عليه يوما لوحي، فطفقنا نتكلم في علم العروض فذكرنا بحر المقتضب، فقلت له: أظنه أثقل هذه الأبحر الذي لم أنظم فيه قط لعسره علي. فقال: لابد أن تقول فيه الآن بيتين، فقلت: لا أطيق، فقال: لابد، فأدركتني هيبة الشيخوخة، ففكرت ساعة، فقلت له: لا أجد ما أقوله إلا في القدر، فقال: قل، فقلت:

ما أتاك من قدر لا يزاد بالحذر

ثق إذا بربك إن جاء القضا وذر

فما لبث إلا قليلا فسجنه والي درعة لسعاية لحقته، فأطلق نفسه بستين مثقالا سداسية، فعجبنا من هذا الإتفاق.

وقلت لبعض أصحابنا طلب مني الصحبة حين أردت الإرتحال إلى سيدي وقرة عيني أبي محمد عبد الله بن علي طاهر الحسني للاخذ عنه ثم إنه ثبطني وماطلني فكتبت إليه:

ياصاحبي والذي أنزلت في خلدي   وثقتي بعد ربي الواحد الصمد

أنت الذي كنت بين الناس أوثره   على الأحبة والأهلين والولد

إني اتبعتك صدقا غير مكترث   بمن يلوم لأمر غير منجحد

وأنت هيمان حيران بلا سبب   مختلج الرأي لاتلوي على أحد

فما تدوم علي حال تكون بما   جئت به مثلا يهدي إلى الرشد

فإن تساعد على رأي يليق بنا   فقم على الجد فيه غير ذي فند

وإلا فسرح اخاك يرتكب سفرا   واقر السلام على أهلي من البلد

وكتبت في هدية:

سل الحجيج فهم بالبر قد عرفوا   يفدك صدق هواي كل من يصف

قولي لهم حدثوا كيف ترون فتى   قد ادعى حبنا فاللبس ينكشف

كم من حديث ظريف بات سامرهم   ينمه صد عنه الوجد والكلف

حتى إذا ما جرى اسمك به بعثت   قلبي الحسرة لا يعتاقه جنف

يحكي غذا هدى لقلبي اسم ساكنه   مهدي لحم بيوم النحر يزدلف

أهداه عن مقتضى أزكى طبائعه   محبنا كم لنا من جوده تحف

يابن الكرام لقد وافت هديتكم   قد زانها عندما زفت لنا طرف

أحييت رسم وداد كان ممتحيا   بقطر شحط النوى واندرست صحف

صلى الإله على محمد فلقد   قال: "تهادوا تحابوا" قاله سلف

وكتبت للفقيه النبيه العلامة النزيه أبي عبد الله محمد بن سودة الفاسي أطلب منه "فهرسة" الإمام ابن حجر وضمنت اسمها أوائل الأبيات أحد عشر وهي:

فحول العلوم الزاهرات توجهوا   لبحر علاكم وريا يا ابن سودة

هنالك يبغون الكمال لمجدكم   فما صادر إلا وحن لعودة

رموا بسهام العيس في نحو فدفد   فأهدوا لفاس كل نضو معدة

سلام كريا مسك مجلسكم على   مقامكم السامي على طول مدة

هل الوصل منكم يرتجى وسلامكم   ولو بجواب عن كتاب المودة

ألا إن شوق الهائم الصب لا يهي   بهجركم أو بعد دار وبلدة

براه فهل يبريه وصلكم وكم   غرام بوصل في زيادة جدة

نمت ناره في القلب لما نفحتم   بكير صدود في جداة الجدة

حماكم لقلبي داءه ودواءه   ألا فاعجبوا دائي دوائي وعمدتي

جرى ماجرى فالعتب فيهم فسامحوا   فلابد للمصدور من نفث مدة

روى الله مجدا أنت بدر سمائه   وطلابكم شهب له خير عدة

وكتبت إليه أيضا:

فكونوا كما شئتم إنكم أولو الفضل والمجد لسنا نبالي

فمجدكم الورق غنت به قديما بأغصانهن العوالي

وحبكم يا ابن سودة في سويداء قلبي على كل حال

كذا حب من كان حبكم وحبا لمحبكم في الرجال

ولست بذي الحال في حبكم ولكن مقامي به اليوم عالي

ولم لا وأنت الذي فاخرت به فاس كل القرى في المعالي

عليكم سلام تسامت به إليك المنى يا كريم الفعالي

وكتبت لبعض المحبين وقد رجع من حجته:

ياضيعة الحب إن لو يقض لي وطرا منكم لدى عرفات بئس دعواكا

يا ليت إذ فاتك الذكر الجميل بها ذكرتني إذ ضريح المجد ماواكا

فكيف تنسى محبا كان يتحفكم بخالص الود قدما كان يهواكا

فانصرف ركابك عن وادي الهوى شغلا عنه بنفسك ليس الواد مثواكا

وقلت في علو الهمة:

فلا تسكن الأرض إلا إذا أنالتك عزا وعيشا عجيبا

فلا ترض عزا بلا عيشة ولا تبغ في الذل عيشا خصيبا

وإلا فسافر وجل دائما لإدراك هذين أو مت غريبا

وقلت في المتدارك:

قلبي مذ بانوا في سفر معهم والجسم لدى الحضر

شوقي لهم قد هيجه صوت الورقاء لدى السمر

سجعت سجعا قد ارقني وأثار لهم على الفكر

زرناهم من أرض بعدت بقلوب دائمة النظر

وهم بخلوا بالطيف وقد راضوا عيني على السهر

وقلت:

سلام عليكم من محب شغلتم خواطره كي لا ينام له طرف

فإن كان شغلي الباب مرادكم فعندي منه يحار له الوصف

وعندك من كنز السلو قناطر ومن ذر غدر مثل ذلك والضعف

وقلت في حدود مهاب الريح كما فسر ذلك عبد الملك بن مروان الملك:

قبول سهيل مطلع الشمس قبله ومنه لبنت النعش تصبو إلى الشرق

ومنها: شمال الجوف هبت لمغرب ومنه: دبور الغرب للسهل بالفرق

وقلت:

أمر من الصبر المعلقم عيشة تنال بدين أو تسوغ بالحلم

ذليلان: مديان وإن عز والذي تحلم يستبقي الثرى خيفة العدم

ونظمت أسماء القرآن العظيم التي ذكرها السيوطي في الإتقان بإشارة شيخنا الأستاذ العلامة ابن يوسف فقلت:

وسيلتنا العضمى أجل الوسائل مكرمة، مرفوعة، صحف أتت

كتاب هدى أسماؤه قيل: خمسة علي، عظيم، والمثاني بحقها

كتاب مبين رحمة، متشابه إلى ملك يغني به كل سائل

وحبل، صراط مستقيم، وحكمة وخمسون في الإتقان عزوا لناقل

هدى، نبأ صدق، وحق مهيمن ونور وقرآن، شفاء العلائل

بشير نذير، عروة، ثم أحسن زبور، وفرقان بيان المسائل

وموعظة، أمر، وذكر مبارك وقول وفصل والكلام لقائل

مناد، مجيد، ثم تذكرة لنا حديث، وتنزيل كريم الشمائل

ولما ماتت أم أخينا الفقيه النجيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله المرغيثي

وكانت عزيته بقولي:

لئن كانت الأرزاء في الدهر جمة   على المومن المبرور فالله شاكره

له منه إحدى الحسنيين كرامة   تنال وذنب في القيامة غافره

أحاديث خير المرسلين كفيلة   بأجر امرئ في كل خطب يصابره

ولكن ذكر الله أكبر واعظ   وأولى مقول سره ومجاهره

تعز أبا عبد الإله وأنت قد   تنزهت عن قولي تعز نظائره

وماذا عسى يسليك يوما به امرؤ   إذا كنت تسليه وأنت مذاكره

ولكنه حق علينا شريعة   تعزي الفتى في كل هول يباكره

وقد وطئت نعلاك في العلم رتبة   من العز في أفنانها من تفاخره

وقلت أرثيها:

أرقت لوجد في فؤادي حموله تحط ودمع من جفوني هموله

وماهو إلا أن فجعنا بروحة كريمة فرع راسخات أصوله

أيا عمة عم العشيرة رزؤها فكل به مضنى الفؤاد هموله

لأنت لعمر الله فينا كريمة عزيزة فقد لا يراد حصوله

لئن أصبحت ياعمتي منك أعظم رهينة قبر حاطهن شموله

فإنك، ويم الله، أنجبت مولدا بنجل وما نجل سواه يطوله

وقلت أيضا أرثيها:

فيا للقوم للموت المفاجئ وللغفلات منا المستطيله

تخاتلنا المنايا كل حين بسهم من يصب أضحى قتيلة

ونحن على شفا جرف لها قد لها كل بدنيا مستحيلة

أعمتنا إذا ماغبت عنا ففي الله الخليفة لن نحيله

لقد كنا إذا فسدت أمور لنا أصلحتها رفقا وحيله

بكيناك الدموع فأنفذتها مصيبتنا بك العظمى الجليله

لئن سلبت عشيرتك المنايا وجودك من تبار لن تقيله

أعمتنا المكرمة المساعي سأذكر من مكارمك الجميله

أعمتنا لك الرحمان جار ورحمته الموسعة الحفيلة

ويتحفك الكرامة من لدنه موفرة أياديه طويلة

وسلم علي بعض الأصحاب فرددت عليه، فلم يسمع وشكا إلى بعض أصحابنا، فقلت له:

ظننت وظن السوء لست بأهله ولا مثل ذاك الظن فيك أجير
لئن كنت غضبانا علي بهفوة فقدرك مرفوع لدي عزيز

وقلت في رمانة:

ورمانة لما شققت أديمها تطاير منها كالفصوص اللوامع

إذا مضغت تحكي رضاب حبيبة وإن بلعت تحكي العناق لبالع

وقلت متغزلا:

إني شغفت بأغيد حلو الشمائل منجد

ولقد جعلت وسيلتي عشقي له وتوددي

لكنه ينفي الهوى أو ليس تلك بأبعد

وقد لقيني بعض الأصحاب وأردت أن أشتري اللحم فقلت له:

سأشكو إلى اللحم السمين بعلتي وما قد دهاني من هموم فؤاديا

فآتي إلى الجزار أعطي فلوسه ويتحفني ماكان منه مراديا

كتبت إلى بعض أصحابنا معتذرا عن أمر وعدته به فشغلت عنه:

أسيدنا المشكور في كل سعيه رزقت وصالا في الهوى غير بائس

لتعذر أخاك الصدق بان اعتذاره لديك حقيقا أو يرى غير بائس

وما تدرك الأشياء بالظن دائما إذا لم تلاحظها عيون القرائن

وقلت في الإستعطاف:

متى حبك المكروب تسعفه بالوصل يا ساكن الأحشاء والكبد

فأنت تعلم أن القلب محترق من حبكم بدليل اللون والجسد

ذكر بعضهم: من لازم خمسا عاش سعيدا ومات سعيدا، ونظمتها:

سم لفعل رمته من أول   وحوقلن بدءا وختما حمدل

واسترجعن عند كل خطيب   واستغفر الله بإثر الذنب

تعش سعيدا وتمت سعيدا   ودم على الشكر ترى المزيدا

وقلت ونحن بالمدينة المحمدية "تارودانت" في الأترج:

وقائل أترجكم يافتى   صلب فقلت مثله أهله

ولن ترى مستوطنا بلدة   إلا هوى بلدته أصله

وكتب إلي العلامة أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي من محفوظاته لغزا وهو:

أي شيء إذا تفكرت فيه تم معناه حين تنقص حرفا

هو حلو، وإن مضى البعض منه عاد مرا ولم يكن قط يخفى

رمت عكس اسمه فجاء جليا بينا ثم زاده العكس كشفا؟

فأجبته:

أيها السائل الذي ظل يشرو موضحا للنعوت وصفا فوصفا

بلد ليس فيه يا صاح تمر أهلها دائما جياع وأكفا

وكتب إلي أيضا من محفوظاته:

أي شيء تأتي به الأمطار وهو للمرء ينسب عار

حلب أصله وفي مصر يلفى ابن يوم يرى ولا انكار

ثلثه في البحار خلق يسري ثم باقيه ضيقة وانحصار

فأجبته بعد أيام:

أيها اللوذعي حسبك عجزي مدة في الجواب ذاك اعتذار

كلما قد أثرت حرب التحاجي ما الذي الجبر عند ذاك اصطبار

وكتب إلي أيضا من محفوظاته:

ما اسم إذا يعدمه عاقل   خيف عليه لمس مقلوبه

ويشتكي الذلة من فقده   شكوى حبيب فقد محبوبه

فأجبته:

نسأله سبحانه لم يزل   يمد طالبا بمطلوبه

وأن يكثر الفحم لدينا   وأن ينجينا من لمس مقلوبه

وقلت لبعض الأحبة، وقد سألني متى أرتحل عنهم، فأجبته:

خليلي: غدا يبدو الفراق فهل ترى وداعي لذيذا بعد محقك للود؟

إذا كان هذا البين لابد واقعا فلا تنسني في الحفظ للستر والعهد

فإن الذي بيني وبينك أمره عظيم به نبغي رضى الملك الفرد

سألتك بالرحمان هل تبتغي لنا بديلا وهل يا صاح يعجبكم بعدي؟

فإن لم تكن عيني بكت لفراقكم فعيناي قلبي يبكيان على جهدي

وكتب إلي العلامة أبو عبد الله بن يوسف من نظمه:

أحاجي خبيرا باللغوز ومن يدري ومن دأبه كشف المعمى بلا عسر

عن اسم غدا جسمي لحسن جماله أسير معنى عوض لاينقضي أجري

وفي لفظه وصف إذا زال آخر ولو لم يكن ذا الوصف فزت بلا ضر

وإن شئت قل اسم لشخص بعلم أو اسم لما يدني الرقيب من القبر

أجبني جوابا من جواهر لفظكم لتذهب دجن الجهل بالنظم لا النثر

وهذا سلام الله مني إليكم سلام محب سالم القلب والصدر

فأجبته:

على ذي وداد سالم القلب والصدر سلام زرى بالمسك طيب وبالزهر

على من غدت أيامنا بوجوده مواسم لاتخشى بها صولة الدهر

بجاه حبيب الله صفوة خلقه أبي القاسم المحمود في السر والجهر

وقلت مجيبا عمن يلومني على ترك الزواج:

يقولون فانكح إنه الدين والدنا   وماكنت عن دين النبي براغب

ولم يعلموا مابي وحاصل ماأرى   حرام على ذي الفقر وصل الكواعب

وكتب إلي من نظمه العلامة الأستاذ ابن يوسف التاملي لغزا في "جلجل" وأنا في حانوت العطر:

ما اسم لشيء وهو شخص ناطق من غير لفظ ناطق وصراح

حسن الفصاحة وهو أبكم صامت يبدي مكان صديقه بصياح

وعيونه كثرت وواحدة له في رأسه ويطير دون جناح

إن من صاح لغير ضر ناله وكذلك فعل شبيهه يا صاح

فإذا أمرت بلفظة أحدا مضى طوعا لأمر طالبا لنجاح

وإذا قلبت وعريت حركاته دخل الذي تدعو لغير جناح

ورأيته عند الأديب محمد بمتاجره في معرض الأرباح

لله درك يا أديب إذا عثرت عليه عندك في مسا وصباح

فأجبته وجعلت حروفه في أولى كل بيت وآخريه وقلت:

جاء الغمام بوابل هطال مغناكم يا فارس الأشكال

جعل الحريم لغيركم بأوائل وأواخر من شعره بتوال

لغز كنت انشأته لبعض الطلبة بتارودانت:

يازاعما أن الحجاب قد كشف

له ومن بحر المعاني يغترف

فهل عرفت جملة فيما أصف

خالية اتت على وجه عرف

صاحبها عامله شرطا حذف

جوابه بالحذف أيضا يتصف

دل عليه مفرد باك كلف

يقول: ألفي ذاهب لن ينعطف

سؤال آخر أنشأته في البيت المشكل الإعراب المشهور:

لقد حرت في بيت تنقب وجهه بأشكاله الداجي الحمر المطاعم

فهاهو ياقومي فإعراب لفظه وأيضاح معناه إلى كل فاهم

أقول لعبد الله، لما سقاؤنا ونحن بواد عبد شمس وهاشم

ونظمت لبعض الطلبة قاعدة لدخول ينير وهي:

مازاد من بعد ألف خذه مع سنة أردتها وبكم فاطرحن أبدا

والفاضل احفظ وأن تلفيه منيف فكن على آخر الإطراح معتمدا

وبعد كور في طوق دائرة أبجد هوز خمس مرات ولا تجدا

لكن خامسها ترميه مغتنيا بالصفر وامض كذا المنتهى قصدا

ثم خذ الفاضل المحفوظ وامش به في الطوق وابدا بحيث الوضع قبل بدا

تقف على يومك المطلوب مبتدئا في عد حرفك بالأحد كيف بدا

إياك والصفر لا تعده فهو يرى كبس السنين حيث الخير والرشدا

وكنت قد كانت لي عند بعض الولاة حاجة، واستشفعت لها ببعض الصالحين من أشياخنا وهو أبو عبد الله بن الحسن السوسي ووعدني بها ثم طال ذلك علي، فكتبت إليه بعد أيام:

سيدي يا عمادي هل من جواب لما عهد؟

إن أمارتي لقد أزعجتني لما وعد

حدثتني بأنها صبرها فر إذ فقد

ليت هل سحم غيم أم بارقا خلب وجد؟

من يجن جده أحت سبله وهو لم يرد

حسبنا الله لم يقع قط شيء ولم يرد

فأجابني بقوله:

فاعص أمارة دعت ك إلى الهم والكمد

ثم كذب حديثها إنه الزور والفند

وارج خيرا وأحسن الظ ن خلي بمن وعد

إنه خال لايرى منه خلف إذا وعد

فلقد طال ما انثنى عنه راجيه بالمدد

فغدا بعدما غدا ضنكه في العيش الرغد

وأنا ما قصرت بل لكل شيء له أمد

وكتب إلي أيضا العلامة ابن يوسف الأستاذ التاملي ملغزا علي رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

اسم الذي تيمني أوله ناظرة

إن فاتني أوله يكون لي آخره

فأجبته:

أيا محب في علي حتى م أنت ساتره؟

بح باسمه فالحب قد بأن لديك وافره

واصدع بما أمرت قد ساعد من تحاوره

وأشرت بقولي: "واصدع بما امرت" إلى قوله عز وجل: "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى" قال المفسرون: نزلت بالأمر بمحبة أهل البيت الشريف. وإلى قوله عز وجل: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا" فإنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن علامات الإيمان حب علي، فمن لم يحبه فليس بمؤمن اللهم اشهد لنا بمحبته وانفعنا بها يوم الوقوف بين يديك آمين. يا رب العالمين.

وكتب إلي أيضا ملغزا في محمد صلى الله عليه وسلم:

إسم الذي تيمني من بحتم بنعمته

وقلبي حم شائقا أسكب فيه دمعته

فأجبته:

أقول إذ سألتني والشوق يذكي جمرته

إني على محمد أسبل جفني عبرته

صلى عليه الله ما أم الحجيج زورته

وقلت في الغزل:

رضاي رضى المحبوب قبل ومن بعدي   وفى او جفى زار او زاد في البعد

إذا لم يكن صبري على الوصل في الهوى   محالا فما معنى الصبابة والود

أرجي لوصلي موسما بعد موسم   فما زادني إلا مواصلة الصد

ومما يزيد البال في كل مورد   خبالا بياض الثغر مع حمرة الخد

أيا من بسهم اللحظ يقتل عبده   فرفقا بعبد في الهوى أيما عبد

قضى بنحيب نحب أيامه التي   بها الوصل هزل والصدود على الجد

تمنيت أن لو زرت إذ جرت في الهوى   مخافة عقبى البغي في جائر الحد

ولو لم يكن غير الجفا منك دائما   تحملته إذ ليس لي فيه من بد

وقلت لأمير المؤمنين مولانا الوليد حين كلفني لزوم بابه وطلبت منه أن يعفيني من ذلك:

سلام الله متصل المزيد على طود العلا المولى الوليد

على ملك الورى ابن أبي المعالي على شمس الهدى المولى السعيد

عبيدك يا خليفة ربنا ذا محمد إبن عبدكم سعيد

يقبل أرضكم يبغي سراحا له كي يرتعي بين العبيد

يقبل أرضكم يبغي سراحا له كي يرتعي بين العبيد

بخير الخلق جدكم عليه سلام الله متصل المزيد

وكان نصره الله سألني الجواب عن هذا البيت واستخراج التاريخ البديعي منه في بيت واحد وهو:

صرح أقيمت على التقوى قواعده ودل منه على التاريخ معناه

فقلت:

أكرم بصرح إذا معنى هممت به فهمت تاريخه وامتاز معناه

وكان نصره الله سألني معارضة هذين البيتين لبعض المشارقة في السرو:

حفت بسرو كالقيان تلحفت خضر الحرير على قوام معتدل

فكأنها والريح حين تميلها تبغي التعانق ثم يمنعها الخجل

فقلت: وما عدوت مغزاه ولا رميت مرماه:

أنظر إلى صرح البديع كأنه در تناثر في بساط معتدل

والسرو من بين القباب كشمعة خضراء مابين العداة تشتعل

وقلت:

أقسمت بالله هل من بعده قسم إن الدنانير سيف المرء مسلول

وقل لمن حار في أمر يحاوله إن الدراهم باب الأمر محلول

وقلت في جار لنا في دكاكين العطر قد مات رحمه الله علينا وعليه أرثيه:

يا صاح مازال هذا الدهر تفزعنا فيه المنايا وما زالت فجائعه

قد أفجعتنا المنون في مجاورنا وأي جار وعطار يقارعه

لهفي على سيدي يحي فقد غربت عنا بغير رضى منا طوالعه

خزانة كان للأسرار يحفظها وكم بدت للمشاور منا منافعه

لا يحذر الجار قط من مضرته ولا تنال ذوي التقوى وقائعه

أعماله كلها لله مخلصة من غير عجب ولا شخص يصانعه

قد كان منه لنا أنس نسر به منه لله عابد مطاوعه

محفوظة عنده أسرارنا أبدا مأمونة في أمورنا خدائعه

ماكان أحلاه معاشرة مكفوفة عن معاشر مطامعه

برحمة الراحم الرحمان تشمله ومن رضاه توافيه هوامعه

وقلت في تقدمة وداع لبعض أصحابنا:

أحبتنا غدا عنكم نسير ويوم البين ذو بلوى عسير

كأن القلب إذ قلنا سلام عليكم حان والله المسير

شهاب أضرمت الريح يوما له شرر إلى كبدي يطير

وقلت في التجنيس المركب:

صاح فانهض للذة العيش مهما   تشتق النفس حبها سلسبيلا

واختلس من يدي زمانك يوما   واغتنم خمرة حكت سلسبيلا

وكتبت لبعض أصحابنا الشرفاء وكان في بادية فاس رسالة وهي:

إلى الأمجد الأرضى الرضى الذي له على الناس تخصيص المحبة والفخر
زكي، سني، طيب القول واللقا ومنبسط الأخلاق منشرح الصدر
وذاك أبو عبد الإله محبنا وسيدنا المولى المطاع لدى الأمر
محبك يامولاي يهدي سلامه إليكم مع الإخوان في النظم والنثر
يسائل عنكم كيف أنتم وكيف من يلوذ بكم يوما على سنة البر
وبالله قل لي كيف حال أخيكم وأختك يوما مع مصادمة الدهر
وقد سمعت أذناي أنك قبل ذا تزوجت، ياطيب السماع لذا الخبر
ولكنني مازلت منه بحيرة وشك لبعد في البلاد كما تدري
ومالك والبيضاء حتى هجرتها على أنها أهوى وأرخص في السعر
وحاصله فاكتب جوابا مفصلا فإني مشتاق إليه على الأثر
وأحوال هذا القطر إن كنت سائلا كما سمعت أذناك من شدة الحصر
على أننا والحمد لله وحده على كل حال في غلاء مع الشر
بجاهكم ندعو الإله لعله يعاملنا بالعفو والرخص واليسر
رضينا قضاء الله أهلا ومرحبا ولكننا نشكو شكاية مضطر

فيا ربنا ما للعبيد جميعهم سوى جودك الموفور يا كاشف الضر

بجاه رسول الله مع آله أغث عبيدك بالعفو الجميل مع النصر

فنحن وإن كنا رضينا فإننا شكونا إليك الضر من قلة الصبر

كتبت إليكم بعض ماكان عندنا وأما جميع الأمر فهو كما القطر

صبيحة خير، يوم الاثنين عاشرا بشهر صيام والمدامع قد تجري

وذلك عام اثنين مع أربعين قد تزيد على الألف الذي مر للهجر

محبكم هذا الضعيف محمد هو بن سعيد كاتب الأحرف الغر

يصلي على خير الورى بعدها وعن صحابته والآل يرضى بلا حصر

وقلت:

من لي بمن يثق الفؤاد بوده   وإذا ترحل لم يزغ عن عهده

يابوس نفسي من أخ لي باذل   حسن الوفاء بقربه لابعده

يولي الصفاء بنطقه لاخلقه   ويدير صابا في حلاوة شهده

فلسانه يبدي جواهر عقده   وجنانه تغلي مراجل حقده

لاهم إني لاأطيق فراسة   بك أستعين من الحسود وكيده

وكتبت لبعض الإخوان معتذر عن جفوة فقلت:

متى يراك محب عنده أمل أعيته في وصلك الأسباب والحيل

أم كيف يرجو وصالا من تكنفه من الوشاة ومن عذاله جمل

مما يؤنس قلبي بل يؤيسه أني علقت غزالا ماله مثل

كم حاولوا بي لو أني أطعتهم على التسلي بروض زهره خضل

وأسمعوني فيه نقر عودهم والعود في النار والأحكام تمتثل

وأشهدوني من ظرفهم عجبا يسقيهم العنب الرمان يا رجل

كم عاتبوني وكم سلوا وكم طعنوا فيه وكم سفهوا عقلي وما عقلوا

لو يعلموا كيف استشفي بعدهم إذا اعتراني من شوقي له خبل

أما تراهم إذا اصغيت أطعمهم إني سلوت ونار الحب مشتعل

وصاحب رام مني ان أنادمه أغضبته وهو مافي حبه خلل

لكن أبادر في تفريج كربته لبسط عذري والأشراف تحتمل

فقلت: ياسيدي يا خير معتمدي يا أنس قلبي أنت السول والأمل

قد منعتني أمور لست أذكرها مهلا فلا يستفز حلمك العجل

يكفيك يا جوهر الأحساب أن فقدت جواهر الثغر معها الأعين النجل

كيف وغابت دنانير الوجوه وهل يرى بغير دنانير فتى ثمل

فإن عذرت فمن فضل عرفت به قدما وإلا فيا لهفي وما العمل

لكن عظيم وداد منك يحملني على التجني فلستن الدهر تنتقل

فأجاب أعزه الله بقبول العذر فقال من نظمه:

ياسيدا طالما أودى به الخجل أعياه وصل حبيب عنده أمل

قد اعتذرت إلينا الآن نقبله بحيث تغنينا عن تفصيله الجمل

يكفي المحب ودادا انت تعلمه فلا جفاء يخاف مارسي جبل

كأن قلبك سال في تقلبه عنه ويدنفه التشبيب والغزل

في روض أنس بهي لا نظير له لو أنه للذي نهواه يشتمل

فاسمح بفضلك يا نجل سعيد ولا تأخذ علينا فإن القوم ماعقلوا

ودع مقالة كل العاذلين سدى ولا تبالي بلوم إن هم عذلوا

ودم على عهده تظفر بمنيتكم إن الذين أداموا عهدهم وصلوا

ولاتحد إن بدت منه منافرة فالحيد الحاد من قد كان ينعزل

وقر عينا وطب نفسا فلست ترى إلا المسرات في أردافها الجذل

وارفل وزد فرحا تنفي به ترحا فوصل حبك هو الخمر والعسل

أيام وصلك كالأعياد جملتها   وشمس سعدك قد أطلعها الحمل

قد طال من أجله ما قلت مكتئبا   متى يراك محب عنده أمل

وكان شيخنا أبو عبد الله المكلاتي الفاسي غائبا بسلا فسألت عنه ولم يكن لي بغيبته علم فلما قدم كتبت إليه وقد قدم منها مريضا:

ما نرجس الأجفان عندي ولا ياقوت خد لونه واضح

مع وجنتين كالسماكين في يمناهما خال هو الرامح

بينهما أشم سبط كما يبدو لك القرنفل اللاقح

وتحته عنابتا روضة والدر من بينهما لائح

أرشفه عن طوعه تارة وتارة وهو بنا طائح

في ليلة أطول من هجره نام رقيبنا الكاشح

ألذ من لقيا أديب الورى في العصر فهو الأم والشارح

لايمتري في فضله ممتر ولم يكدر بحره مائح

سألت عنه قيل لي قد أتى بحر سلا وبحرها طافح

فقلت: ياقوم يريكم فذا بحرين: ذا عذب وذا مالح

لكن سلا فهل سلا بعده قلبي وهو في سلا نازح

كم ليلة بت صريع الهوى طرفي للنجم بها طامح

وليلة كان سميري بها شوق يشق حمله الفادح

لما بدت من دهرنا فرصة بالوصل صاح بالضنا صائح

بشراك عوفيت من السقم لا بأس طهورا أيها الصالح

وفي بعض مكاتبي قلت:

حليف سهاد تيمته شجونه   قريح فؤاد مسبل العبرات
صريع الأسى قد حكم البين في الحشا   لديه يديه موقد الجمرات

وقلت:

يا فاتح السهل لاتكل رجا كرم   يارحمتي كم مشرد إليك ركن

هبنا يكون العطا التوفيق كلا أيا   من لم يزل صمدا أجب وجد بمن

وصن وكن لي وهب لي حسن خاتمة   وسيلتي أنبياء بعثت بسنن

هذه رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبتها إليه على لسان بعض من ندبني إلى ذلك يريد أن يبعث بها مع الحجاج عام 1044 ونصها: {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما}، أرسله رحمة عامة لجميع الخلق فدخلوا في دين أفواجا وأمما، فاستأنسوا به رشدهم فجعلوه قصدهم أمما، حتى رفعت لهم راية الرشد والنجاح، وكان لهم الحق والصلاح، ناداهم منادي الهوى حي على الفلاح، فبادروا مسرعين إلى معانقته، وقد طال ما كويت أكبادهم بنار مفارقته، ففتح لهم المحبوب جنة الوصال ورفع عنهم حجب الانفصال فناداهم لسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال: أدخلوها بسلام أيها المؤمنون من الأنام {سلام عليكم طبتم فأدخلوها خالدين}، {كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين}

تمتعوا بوصال الحب في غرف　من الأماني وحلوا أحسن الحلل

طوبى لهم وصلوا المحبوب واغتنموا　من قربه غاية المرغوب والأمل

تراهم عنده من كل مغتبط　نشوان من خمرة الأشواق أو ثمل

فكلما كابدوا في البعد مغتفر　بالقرب فاحتملوه كل محتمل

يا لو تراهم إذا حفوا به حلقا　وكلهم غارق في دمعه الهطل

يشكون بعد المزار كلهم قلق　مستعجل نحوه خوفا من الأجل

لكن السبيل إلى لقياك يا أملي عجزت عنك وما لي فيك من حيل

لم يبق لي غير تسليم أشيعه إليك تقبله يا خاتم الرسل

مني السلام ومن رب الأنام إذن تبليغه والقبول منك فاقتبل

مني سلام جسيم مشرق عبق عليك يا خير مبعوث إلى الملل

قصدي الشفاعة يا خير الورى فلقد ضاقت بي الأرض من ذنبي ومن وجلي

فامنن بها يا حبيبي أنت ضامنها عن الإله لمثلي مكثر الزلل

مستشفعا بضجيعيك إليك أبي بكر نعم أبي حفص وكل ول

من العبد الفقير، إلى السيد الكبير الخطير، من المذنب العاصي، إلى المشفع في الداني والقاصي، من المحب المشتاق، إلى حبيب الملك الخلاق، من الخائف الهيمان، إلى محل الأمن والأمان، قطب دائرة الوجود وإنسان عين الجود، سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين وحبيب رب العالمين.

سيدي ومولاي، وقرة عيني وسمط محياي، سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي الزكي الأواه، المصطفى المختار الذي سلمت عليه الأحجار، وأجابت دعاءه الأشجار، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، ومجد وعظم: عبدك فلان بن فلان الفلاني يقرئك السلام ويقبل بأفواه الأقلام تربة بلدك الحرام، لما عجزت الأقدام، عن الإقدام.

ولما نأيتم ولم أستطيع أسير لحضرتكم بالقدم
سعيت إليكم برجل الرسول وخاطبتهم بلسان القلم

ومراده يا سيد الأنام، الشفاعة يوم القيام، له ولولده والأهل وفرعه وأصله ونسله، فأنت على ذلك قدير من ربك تعالى جدير، وسلام الله وصلواته ورحمته وبركاته عليك يا كهف الأنام ويا بدر التمام، وعلى صاحبيك أبي بكر وعمر، ما جادت سماء بمطر وما غنت حمام على شجر، ورحمة الله وبركاته.

وكتبت إلى إخواننا طلبة بلدة أبزو حرسها الله:

حمامة لا خانت هواك قوادم فطيري إلى أبزو فدتك الحمائم
وطيري إلى جو السماء وحلقي على القلعة الغراء حيث الأكارم
وطوفي بها سبعا طواف معظم كما طاف بالبيت المشرف قادم
نعم وانزلي يا حرة الطير وسطها وحي كما حيا وسلم خادم
على السادة الأخيار في قلعة الهدى وفيما حواليها قعود وقائم
سلاما به تحيي النفوس وتغتدي عليهم به طول الدهور النواسم
وقولي لهم منوا على ابن سعيدكم خواطركم لله فالحب لازم

فكان من جوابهم متمثلين به:

سمعت حمامة هتفت بليل وقد حنت إلى إلف بعيد
فأزعجت القلوب وأقلقتها فما زلنا نقول لها أعيدي

ومنه:

هواكم في فؤادي لست أنساه وذكركم في لساني يا ما أحلاه

وشخصكم لم يزل في خاطري أبدا وحبكم في صميم القلب مثواه

ومنه:

فؤادي وجسمي من هواكم معذب وقلبي على جمر اللظى يتقلب

فإن لم يكن منكم وصال ولا لقا فلا شك إني للمقابر أذهب

ولشيخنا الأديب أبي فارس الشاطبي يرثي زوجه رحمها الله:

خير الحنية للبرية كامنة غارت على عرسي وكانت آمنة

والشمس من داري خبت أنوارها واحلولكت فكأنها متداخنة

من حر أنفاسي تصاعد فاكتست منه العوالم فهي دأبا حازنة

حتى تودي بعض واجب حقها إن الغرابة كل حق ضامنة

ذات السماحة والحنانة والرضى فكأنها ام علينا حاضنة

أسفي على فقد الرفيقة أنها برماح صعب فراقها لي طاعنة

تركت فؤادي بعدها متوجعا لما غدت تحت الجنادل ساكنة

ذهبت وفي خلدي أقام خيالها تبدي لنا جذر الديار محاسنه

في طاعة الرحمان أفنت عمرها لاتبتغي لهوا ولبست ماجنة

الله يرحمها ويغفر وزرها وتحل في دار الكرامة آمنة

فعلى رفيقتنا سلام إلهنا يهدي لها يوم النشور مآمنه

فأجبته ولم أبلغ ما أردته:

لاغرو يا نعم الحبيب إذن فلا تجزع لها فلكلنا هي كامنه

أحسنت حين نعيتها من بعد أن عزيت نفسك كي ترى متطامنة

ولقد تعزى كلنا من بعد ما يهدي لك الرضوان أنت وآمنة

وقلت حين ضرب الحجيج الطبل بمراكش عام 1044:

خفق اللواء لزائرين المجتبى والطبل صاح ألا هلم ليشربا

وهم إلى ذاك الضريح تسارع وتشوق وتحن قد أطربا

شبوا بذاك جوانحي فلقد غدت جمرا تهب لها العصوف من الصبا

سحت أوابل أدمعي فكأنني أبغي التبرد للذي قد ألهبا

وإذا سمعت غدا تسير ركابهم طار الفؤاد لنازلين على قبا

ويح الفؤاد لقد تردى في الردى لما ارتدى برداء وجد واحتبا

ولقد اراك تثبتا وتجلدا يوم الوداع وعنده الجزع اختبا

حتى إذا رد القيان جمالهم وتوسطوا بعد التحمل سبسبا

ألف البلابل واستبان هيامه وعصى العواذل في هواه وأسهبا

حتى يحم لقاؤه ويحط عن وجه الوصال نقابه المتنقبا

سل عن دموعي الجاريات إذا أتوا سلعا وعن جفني الذي قد أسكبا

جفن إذا كتم الفؤاد غرامه نمت عليه دموعه فتصببا

أبغي الزيارة والمقادر قد أبت بل حق ذاك لها فذنبي سببا

كيف السبيل وأن لي قلبا إذا خاطبته بهدى تولى أو صبا

أم كيف يدرك رشده المرء الذي تهوى به مهما تهب صبا الصبا

إلا إذا مسته رحمة ربه بمحمد المختار كان تقربا

خير البرية سيد الخلق الذي يرجو شفاعته الذي قد أذنبا

شمس الهدى علم الندى مجلي الصدى مردي العدا في الردى عمن كبا

إنسان عين العالم القطب الذي فلك النجاة عليه دار وصوبا

سر الوجود وعينه وأساسه ونتيجة الكونين منتخب النب

ملك المحاسن والمحامد والندا فمن ادعاها دونه يك أكذبا

لبس الجمال على الجلال فكل من يلقاه يوما أحبه وتهيبا

ثمر النبوءة قد جناه في الصبا فغدا له قوتا به قد أنجبا

آياته تحكي الجبال تعاظما والشهب نورا والمسوك تطيبا

لو رام جامعها على طول المدا حصرا لأعجزه القليل وأتعبا

حسن البيان خطابه ومواعظا هطل البنان سماحة وتوهبا

طلق الجبين إذا الأنام قد اهتدوا هامي اليمين إذا الأوام تغلبا

وحنينه وأنينه دأبا هما للدين أوفى الدين لن يتهربا

ياطيب ملقاه فما عنه غنى ولذاك حن الجذع يوم تجنبا

وتعلقت شوقا به وحش الفلا وتأنست وكذاك سارعت الظبا

ولقد اطاعته الجوامد فاعتبر بالسرح إذ كانت سواجد رغبا

وكذا الرمال تماسكت في مشيه والصخر لان لرجله وترطبا

والايتان بشق ذي ورجوع ذي غدتا كذلك ءايتين لتندبا

أمر العصا والأرض فانتمرت له هذا بقبض والعصى أن تقلبا

أما السحائب فهي طوع يمينه فتظله وتهل وبلا صببا

وهي الجانس غير أن يمينه فتظله وتهل وبلا صببا

وهي الجانس غير ان يمينه لم تلف قط كما السحائب خلبا

والصخر سلم والذراع تكلمت نصحا كما نصح الأنام تحربا

وكأن تسبيح التراب إجابة لفؤاده لما رماه وحصبا

أبدت مزيته بفيء سرحة ونبات أخرى حوله كي تحجبا

زهقت بواطل ذي العناد بحقه بقضيبه سقط الصليب وكبكبا

بالسيب والسيف ارتدى فمن اهتدى فله الندى ومن اعتدى فله السبا

ورد المكارم في صباه فلم تزل تصفو موارده إلى المعالي مركبا

وله هنالك إخوة سبقوا له بعثا وقد سبق الجميع تقربا

ولذاك أم القوم أفضلهم فلم يثن العنان وخلف خلى الموكبا

حتى إذا طوي الحجاب بحضرة قدسية سمع الندا وتأهبا

صلواته تخشاه مع بركاته مع آله وصحابه تحكي الكبا

فهم لخير الخلق خير صحابة كل غدا لهدى الخلائق كوكبا

وهم اللي ضربوا الرقاب لنصرة وهم الكرام طبيعة وتأدبا

نعم الرسول نبينا وشفيعنا وملاذنا من كل هول أكربا

طوبى لأمته به سبقوا الورى دنيا وأخرى إذ تساموا منصبا

كنا به خير الورى شرفا به إذ كان خير الخلق لا تتعجبا

فهي العناية من تنل نال المنى وهي الإرادة من تخص ولو أبى

يا مبدأ الكونين يا قطب العلا ياخاتم الإرسال أنت المجتبى

يا طيب الأنفاس ياأمل الورى يا غاية السؤل المرجى للحبا

ياسيدي هذا عبيدك قد دعا سبعا لتشفع فيه يوم استعتبا

يوما تعارضه جوارح سبعة هي الشواهد كي تبين وتعربا

أو لست يا نعم الرسول حبيبنا أو ليس جاهك عاليا ومرحبا؟

أو لست يامولاي أرأف بالفتى من نفسه وكفى بذلك موجبا؟

وإذا استغاث بك امرؤ وجبت له صقا حمايتكم ونال المطلبا

فأنا امرؤ بك مؤمن وموحد لله ربك خفت من أن أعذبا

كن لي مجيرا يا مجير الخلق من ذنب تراكم كالجبال مع الربا

إني لي مجيرا يا مجير الخلق من ذنب تراكم كالجبال مع الربا

إني وحق علاك مالي ملجأ إلا إليك إذا أتى السيل الزبا

فلطالما فرجت كربة بائس لولاك عن خلاصه وتنكبا

ولطالما يسرت من متعسر وكشفت ما هال الفؤاد وشغبا

ولطالما أغنيت صاحب عسرة فغدا بأثواب الغنى متقلبا

ولقد تواتر عنك في السبب الذي يدلي به خبر أضاء وأعجبا

حبي وتسميتي هما السببان لي يوم القيامة حق لي أن أقربا

ولقد أمنت من انقطاعهما إذا ما ضرني ان فاتني أن أنسبا

وعليك من ملك الورى الصلوات ما خفق اللواء لزائرين المجتبى

وكتبت سؤالا لأصحابنا أهل مراكش عام 1044، فأجاب شيخنا العلامة ابن يوسف والسؤال نصه:

أيا عالما تشفي الصدور مسائله نعم وبه يلقي الرشاد مسائله

إلى علمك الأطمى المثار رعبابه أتى ثم أدلى دلوه اليوم سائله

فما حكم طي الأراضي بدعوة وجن وسحر أنه الحق باطله

فما حكم طي الأراضي بدعوة وجن وسحر أنه الحق باطله

يحج بها الإنسان هل تم حجه وهل كان في حكم المسافر فاعله

أيقصر فرضا ثم يفطر هل ترى كذاك وليا فهو أيضا مماثله

وما حكمها إن أمكنت هل يجوز أن يحج بها أو أن يزور محاوله

وصحبتهم للحج إن رامها الفتى فهل تم تفصيل وهل تم قائله

وهل وجبت في ذي الولاية إن دعا إليها وهل كالفرض فيه نوافله

وما حكم من أمدى ويحتال بعد أن توضأ لغسل الفرج ليس يناوله

ولكن بظهر الكف أو فوق حائل ولم ينتقض طهر لما هو حائله

أصح وضوء المرء ليس يضره تأخر هذا الغسل أم هو زائله

وهل دل بطلان الصلاة لتركه على أن هذا الطهر يبطل حاصله

وما حكم من قد ظنه القوم أنه عدو فأردوه بقتل يعالجه

وذلك مابين الصفوف فأسفرت بإسلامه عقباه هل جن قاتله

أيغسل أم لا كالشهيد أجب لنا أيا عالما تشفي الصدور سائله

فأجاب العلامة ابن يوسف الأستاذ:

أيا سيدا أبدت لدينا فضائله وراقت بإحسان وحسن شمائله

جوابكم في أول من فروعها يحج بها ذو فرضه أو نوافله

ولا فرق في طي الأرض بدعوة وجن وساحر وإن هو باطله

وقسه على من حج بالسحت إن أتى بأركانه فمالك به قائله

فيا ليتني بدعوة الطي طائر بها وبمتن الجن حجي أعاجله

وقس حكمه كمن بيسم مسافر بقطر وإفطار كما هو حاصله

لكون مسافر بها سفر التقى وطوع مكلف سيؤجر نائله

وأحرى بهذا الحكم من تبتت له ولايته كالشاذلي يماثله

وقد كان هذا الأمر للشاذلي الرضى بمحضر عز الدين في العصر فاعله

متى أمكنت هذي الأمور لفاعل يجوز بها حج وزور يحاوله

ولا مانع وليتنتهز بها محكن وقد عذبت إن أمكنته مناهله

وصحبتهم للحج أفضل صحبة ولاسيما فيها الولي يناهله

ومهما دعا لها الولي يجيبها صحيح ومستطاع فرض يعاجله

ومن قبيل الطهر يحتال بعد أن توضأ لغسل الابكف يغاسله

صحيح وضوءه ويجزي انتفاضه بمسه فوق حائل هو جاعله

كغسل نجاسة والأولى بنية وخلق إذا فرض الصلاة يناوله

ومسلمنا في الصف يقتل بالخطأ شهيد لقصده جهادا وقاتله

عليه بقتله الخطأ ما تقررا وليس نرى في ذاك من هو غاسله

فدونكها من قاصر ومقصر أيا سيدا أربت لنا فضائله

وأجاب عنه كذلك القاضي أبي بكر السكتاني رحمه الله:

أجل سائلا عما الفقير مسائله وأبدى بها حكما وعاه مناوله

جوابك فليحج واجبه الذي عليه وبعد النفل أفلح فاعله

وليس له قصر ولا فطره الذي بنوه على معنى وهذا يزائله

وعمم بها حكما بتفريغك الذي أطلت به بحثا فجاء مماثله

وليس له في السحر معنى يعمه فخصص إذا يحدو الطريق محاوله

لقاينهم يحكي الذي قد ذكرته عن الشعروي القطب ساعد سائله

وليس عليه أن يجيب بدعوة   ولو وليا كالمواسي يعامله

وزروقنا التنظير منه بحكمه   فدونكه يبرا من الفرض عامله

طهارة من أمذى أفادك حكمها   رعينهم فاحتل لتبقى فضائله

وذاك ليحي ثم أبيانهم كذا   وللفكهاني ماقد أوهم قائله

لآخرها حكم الشهيد مقرر   لسحنون يعزى ثق بما قال ناقله

كذا ابن بشيرهم ومستقرئ له   فطيب له قلبا إذا خلص نائله

ولست لذا أهلا وربي شاهد   ونظمي يحاكيه إذا شن خاذله

وساعدت شيخا قد تعين أمره   أيا سائلا عما الفقير مسائله

ووصل ابن قاضي الجماعة السيد بن عيسى السكتاني سؤالا آخر ونصه:

وأبد لنا امرءا له القصر في الحضر ولم يك في حكم المسافر فاعله

وآخر لايلفي له العذر صاحبي له الجمع لايلفى من القوم حاظله

وما خطبة صحت بعيد وجمعة وليس بها ذكر وحمد تناوله

عليك دواما مني حسن تحية تفوق ذكاء مسكهم وتعادله

فأجبته في بيتين وهما:

غنيت بقصر منزلا وجماعة بجمع ولفظ الذكر والحمد زائله

وقد تصدق الأولى بمتروكة الفتى لدى سفر قد كان قبل يزاوله

لغز قلته في سوس:

ما إسم حقير عم كل الورى ضرا وخص بعض بلدان

في الطرد والعكس ومفهومه تلفيه سوءا حلق أحزان

وإن تضاعف قبله قلبه فلتستعذ من كل شيطان

وصير الضعف أخاه يكن في ذاك عدل كل سلطان

وإن تصحفه كذا يستعذ من ذاك أيضا كل إنسان

وحشوه كعد رأسيه أو معشار عشر عند حسبان

كتبت لبعض المتصوفين من أصحابنا وقد بلغني أنه عمي:

أسير الهوى مستعتب الحدثان فما لي بما ألقاه منه يدان

وما كنت, لولا اليوم أحسب أنني سيسلبني ثوب الأماني زماني

دعاني الهوى حتى وطئت بساطه فسدد سهم البين ثم رماني

فنادى صريحا حين أنفذ مقتلي بسهم النوى أي عبد كيف تراني؟

فقلت: حبيبا حل في القلب دائما حلول شهود لاحلول مكان

فقال: اصطبر تحمد لدينا فإن تكن جزوعا فما للجازعين تداني

فقلت: رضى بعد الرضى يصحب الرضى فهذا القضا أرضاه كيف أتاني

فأجاب عنه وليس في الأصل الجواب:

حكمة: إذا مدحت فاختصر وإذا ذممت فقصر

نظمته فقلت:

فإذا مدحت فاختصر المدح وفي الذم فاقتصر عن طويل

إن خير الأمور في كل شيء هو الأوسط العديم المثيل

حكمة: من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء.

قلت فيه:

من لم يكن يرضى بما قد قسم فهو ظلوم ظن أن قد ظلم
يسخط حيث السخط لايقتضي نفعا ولكن ضره قد حتم

ويجمع العنكبوت على خمسة جموع، ونظمتها:

عناكبا وعناكيبا وزد عكبا وأعكبا وعكاب العنكبوت جمع

قلت في لغز:

وغانية إذا ما عرفوها بما لحق الخليل كما لديه

أبانت عند ما قد ذكروها صدودا، مع سلو مع تيه

وإن لحقت بأختيها وضمت كما ضم الجواري سيبويه

فعاشقها بلا شك تراه مضافا صدرها أبدا إليه

ويمنعه مصحفها وصولا إلى نيل الذي دلت عليه

وكتبت إلى شيخنا القائد علي بن إبراهيم الأندلسي المتطبب سؤالا وهو:

يا أيها الندب الرئيس النجيب قد حرت في أمر عظيم غريب

وأنت في الأشكال قطب النهى به أنت في الأشكال نعم المجيب

فكيف صار الماء دون الهوا أشد ترطيبا وهذا عجيب

فأجابني، أصلحه الله بما نصه:

توقفت خلي بأمر غريب مبادي أوائل علم الطبيب

تفهم كلامي على حده وعول عليه لكيه لا تخيب

أما قد قرأت بأن الهوا لطيف يغوص بكل صليب

وكل لطيف إذا ما التقى بجسم كثيف ينبع خصيب

تولى عليه بحدته وجففه عند وقت قريب

وجوهر ماء لغلظته وسر أصيل ولين غريب

تولى عليه بندوته وأولاه لينا وجسما رطيب

ولولا اختصرت عن الإعتنا بعلم يتيم حقير غريب

لبحت فنونا بعلم الهوى وكل اسطقس لكل لبيب

ووقعت بيني وبين الشريف الحسني النجار بجبال غمارة وحشة فانقطع عن مجلسي فكتبت إليه مستعطفا:

سلوا ما لهذا الحائر المتردد يسائل أهل الحي في كل مورد؟

غريبا، كئيبا، هائم القلب لايرى على كل حال في الورى غير مفرد

يقايض أنس الخلق جل أوانه بأنس أزال البطء نحض مفدفد

له منه في الفيفاء أي مؤنس قد اعتاد منه الأنس في كل مرصد

ومهما يحاور ليحر من جوابه سوى زفرة تقضي بدمع مبدد

تثير عوافي الربع منه شجونه وآونة بشجوه كل مغرد

وتطرقه عند الدجا خيل وجده فيمسي أسيرا عندها كالمصفد

يخال نجوم الليل طال وقوفها له مشفقات مالها من تحيد

أذو حاجة، أم ذو غرام موله أمسترشد فليهد، أم شاد منشد؟

نعم، نابه، والمرء ليس بسابق سهام خطوب الدهر مهما تسدد

نوائب لو راعت جميل بثينة لها عن جمال عندها متوقد

أجل, وخطوب لو دهت قيس عامر غدا من هوى ليلاه, أي مجرد

حنانيك ياقلبي المعنى تلهفا على ساعة في الدهر دون تأود

حنانيك هم أو فاسل لم تعد والذي قضى وانحدر إن شئت بعد أو اصعد

قضى بالهوى حتى تلظت جحيمه فقال: اخسؤوا في غمها والتنكد

فواكبدي: من لي بإطفاء حرها بماء وصال يا له من تبرد

فيا للورى لله در مهذب يداركني من فضله المتأيد

يداوي جراح المرء يوما بمرهم من الوصل شأن الفاضل المتمجد

يبلغ عني، والمبلغ عندنا له له بين أجناس الورى أيما يد

أبا الحسن النجاري الحسني الذي له رتبة فوق السماك وفرقد

وما نسبة النجار من حرفة له نعم هي شقت من نجار منجد

نجار أضاءت مهيع الرشد شمسه فصار به نحو العلا كل مهتد

غدت أنجم الأحساب عند طلوعها أفولا لدى غرب الخمول المؤيد

ولم لا، وتدري منتهاها إذ انتهت إلى المصطفى الندب النبي محمد

صلاة الذي أرضاه بعد عطائه عليه من التسليم في كل مشهد

وقل أيها المولى: فهذي تحيتي توافيك فاقبلها بحق التودد

تحية عبد أحرقت نار هجركم حشاه، وهل بعد الحشا من تجلد

أمولاي: حتى م الصدود، وعبدكم تعذبه بالهجر يا خير سيد؟

أمولاي: هذا الهجر طال فإن يزد فسلم على الدنيا فقد حان ملحدي

بأجدادك الأعلام طرا توسلي وعنصرهم خير البرية أحمد

لتصفح عن جرم العبيد مواصلا له، ثم إذا ماشئت بعد أو اقعد

وكتبت إلى أخينا الحكيم الرئيس السيد علي بن إبراهيم الطبيب الأندلسي مجيبا عن نظم كتب به إلي مع معجون جيد هدية، فأجبته بديهة وقلت:

أقول وقد أنهى إلينا محبنا أبو الحسن المبرور أزكى هدية

فأهلا وسهلا والقبول ميسر لدينا وقد أسديتنا خير تحفة

تنبئ ان القلب منكم تعاظمت محبتنا فيه وأي محبة

وفي نظمكم مع ذاك أعظم شاهد جزيتم جزاء الناصحين لأمة

لقد سرني والله فعلك ها أنا بشكرك أسعى يا حكيم البرية

وقلت في نظم الكلم التي وردت على "فعلى":

وفعلى بالضم والقصر أتى في كلم مشورة وثبتا

فأدمى، وجفنى، وشعبي أمكنة معلومة، والجعبى

اسم عظام النمل ذات العض واسعة الأفواه ذات المض

وأربي حب لبقل يوضع في لبن يثخنه فينفع

وأربي مثل اللهيم يطلق على الدواهي وعليها يصدق

ومازحت بعض الإخوان في مصاحبة السكين فقلت، إذ لامني في مصاحبته دائما:

لست أفارق سنة النبي ولا يخرج عن ابطي في الدهر سكين

كم من منافع قال الله فيه وكم كف البلاء به يا صاح مسكين

كتبت لشيخنا أبي القاسم بن أحمد بن مسعود الهوزالي أستعير "مختصر السعد" فقلت، وقد اعتراه حينئذ، مرض:

سلام عليكم يا خلاصة ما عندي أبا القاسم المبرور ذا المجد والسعد
فحاصله أما أتاك رسولنا لتعطيه لابد مختصر السعد

ثم كتبت له:

شفاك الذي أعطاك علما وحكمة من المرض البادي ومن باطن يردي

كفاك حديث: المؤمن الدهر مبتلى لأجر مؤمل من الواحد الفرد

سألنا بجاه المصطفى خالق الورى سلامته فيما نسر ومانبدي

سألت شيخنا الفقيه القاضي عبد الرحمان التمنارتي عن الاحتيال على غسل الذكر من الذي بعد الوضوء بحيث يغسل بخرقة ونحوها ولم ينقض الوضوء. ما حكم الوضوء هل يصح مع تأخير غسل الذكر ام لا؟ وعن الشعر الجاف بالمخرج إذا كثر هل تكفي الأحجار فيه ام لا؟ فقلت:

على شيخنا المبرور والسيد المجدي أبي زيد المرضي ذي السعد والمجد
سلام زرت بالمسك نفحة نشره يروح ويغدو بالبشاشة والحمد
أجب سيدي من كان للعلم طالبا يسائلكم في الغسل للذكر المحمد
إذا لم يقع إلا بعيد وضوئه فما حكمه أم ما وضوئي من بعد
وفي شعر قد حف يوما بمخرج أيطهر بالأحجار قل لي فما تبدي

فأجاب ولم يصادف موقع السؤال في الأولى فقال:

وأذكى سلام يحكي منفتح الود ويزري بريا المسك أو نفحة الند
عليك أبا عبد الإله محمدا أخا الكد في فهم المسائل والجد
فهاك جواب ما سألت فإن أصب وإلا فعذري قام بالأعين الرمد
فمن يمذ من بعد الوضوء فحكمه كحكم الذي يمذي على أول القصد
وواجب كل الحدي بدءا بدءا أو عودة وضوء وغسل كله الذكر الممدي

ولا خلف في نقض الوضوء وإنما جرى خلفهم في الكل والبعض بالحد

وذا كله المعتاد السلس الذي ابانوه بالتفصيل أو مشبه اللبد

فلابد من ماء يزيل لأنه كمنتشر من مخرجيه على بعد

وإن خف كالمعتاد فأجر مجارهم بقيت بقاء الدهر متصل السعد

وكتبت للطلبة سؤالا وهو:

ما إسم زمان أراد الله رفعته فعده العلما من جملة العمد

فليس ينصب إلا وهو مكتنف بعاملين مواصل ومستند

وهو إذا ماغدت حرفين صيغته أتى على أصل حكم فيه مطرد

إن ابن مالك المرضي أوضحه في مدعى النظم فابحث عنه واجتهد

فأجاب أخونا السيد علي بن سعيد رحمه الله متكلفا في ذلك:

فمنذ جاءني تنبيه أخي رشد بنظمه الجزل والنثر نما رغد

وخاض خاطري خطه فبان له أن قد عنى منذ إذ يكون من عمد

مبتدأ وإذا الشرطان قد حصلا يكون ظرفا فغض بالفهم ثم زد

ومذ بنوه على أصل البنا أبدا فأسلك سبيلهم لازلت في مدد

وقلت ملغزا في الزيتون:

وغانية يجلو الظلام ضياؤها محببة للخلق يا صاح والرب

تسوغ عيش المرء إذ كان مقحما وكم أشيب يغدو ناعم القلب

إذا عقمت ساءت وأبغضها الورى وإن ولدت تضرب به أوجع الضرب

تسيل دموعا بين بيض وحمرها وسود بذاك الضرب يالك من كرب

ويالك من دمع كأن هموله اوابل أودر ترقرق في الصلب

ووقعت على شعر بعض الإخوان بقولي:

وقفت على النظام فلست أدري أعقد الدر أم عقد الدراري

أم الأزهار أم حلل أضاءت مطرزة تميس بها الجواري

نعم هذي بنات الفكر بانت من التحرير عمدة كل داري

ووقعت أيضا:

تأمل ترى السحر الحلال وإن تشأ   هو الروض بالأسحار طلت خمائله

وإن شئت فهو الدر قد راق نظمه   وإن شئت فهو السيف ضاءت خمائله

وقلت لمن ندبني للكتابة لمولانا الوليد رحمه الله آمين:

بحرمة العهد الذي بيننا والخير والود الصميم القديم

ألا تلاقينني دائما بذلك الليث الهصور العظيم

لست أرى بين الورى لائقا بذا البساط المستنير الجسيم

أولى الحوائج لنا عندكم وإنما أنت الوفي الزعيم

وقلت فيما وقع لي من الجبر الإلاهي عام 1026:

ولما رأوا بالباب شخصي تعرفوا هو السؤال والأنس الذي أنا عاكف

فأنكرني قوم فقالوا: فماله إلى بسجن قيدوا وتصرفوا

وقوم علي بالملامة أصبحوا صموتا حزينا كل ذاك تكلف

وقوم لنا قد سلموا وتجنبوا وأمسوا، وقوم عيبوني وعنفوا

ولو أنصفوني أبصروني مطلقا ملامتنا مما بها قد تخوفوا

ولكنني عبد به قد تصرفت وهم في السجون للقطيعة خلفوا

ولو فهموا فيهم وفينا معانينا إرادة مولاه ونعم التصرف

وقلت لهم: فاغدوا وروحوا بلومكم لاح لهم برق على الجبر يكشف

ولي سيد قد كنت خالفت أمره فعندي شغل عنكم البال يصرف

وقلت أنا، في مدح كتاب ورد علي من بعض الإخوان مجيبا له:

وشته يد الآداب فاعتدلت به   تقاسيمها بالحسن عند ابتسامه

فما استوقف الأبصار إلا وقد جئت   به كل لون من بديع اقتسامه

تضوع نشر النثر منه كأنما   تدفق عليه في الكافور مسك ختامه

تلألأ زهر المجد للعين فيه مذ   أفاض عليه الفكر صوب غمامه

فسرحت طرف الطرف في روضة وقد   يذكر جمع الشمل حسن انتظامه

ليالي كانت غرة الدهر فانتضى   على الشمل فيها البين عضب حسامه

فهل كان إلا أن مضت بسرورها   أمور تعاطاها امرؤ في منامه

حنانيك فاصبر إن ربي بفضله   سيعقب عسر بين يسر التآمه

فائدة:

أقبل كالبدر في مدارعه يشرق بالسعد من مطالعه
أوله ربع عشر ثالثه وربعه ثانية نصف رابعه

أجبت عنه:

بسورة الصف قد بدا قمر قد نور الكون وجه مطالعه
بدر الهدى سيد الأنام معا ياليتني سرت في مواضعه

فائدة:

شيء عظيم أمره النصف منه عشره

عذب لذيذ مشتهى حلو يسر ذكره

لم يستطع تفسيره إلا عظيم قدره

أجبت عنه:

نتلو كتابا سره شاف لنا وجهره

سورة قيد لنا ونهيه وأمره

ختم الحديد نصفها لكن ذاك عشره

وقلت في رسالة:

خليلي هل للدهر عن صرفه زجر وإلا فهل للقلب عن إلفه صبر؟

فإن قلت: لا فاصدق وساعد على البكا وأما نعم فيما سوى البذل فالهذر

فأقسمت من دين الهوى بعهوده وبالشمل ليل الأنس فرقه الفجر

وبالود والإحسان والصدق والوفا وبالوصل منهم قبل أن يحدث الهجر

وبالعتب والأعتاب والزور واللما وما هو سر بين ذلك أو جهر

لما طاب عيش المحب من بعد بعدهم بشيء من الدنيا ولا انشرح الصدر

فحسبهم منا إذا ما مضت لنا سنون حسبنا العام منها كما الشهر

يطيب لجلاسي الحديث ولم يطب لقلبي سوى ما فيه يجري لهم ذكر

جرى خاطري في القلب أن نسيمكم ببرده فازداد من برده الحر

ولا عجب فالشيء يعلو بضده ومن بلل يبدو لنا السر والقطر

وسلم على الأحباب ياابن عطية بفضلك من السهل أو ضمه الوعر

أبو سالم قاضي القضاة وصحبه كذاك أبو مهدي الذي خانه الدهر

ولاتنسون المحب من فضل دعوة بها تدرك الأمال أو يغفر الوزر

عليكم من الباري الكريم تحية تعمكم منها السعادة والأجر

وقلت في رسالة: زيارة قبر قطب سيدي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به آمين:

فيا ليت هل يبدو لنا زلغ وهل نرى سرح دار الرمك أو يسعد العمر

نزور بني عمار زروة بها نسر وفي بطحائها يعزب الشكر

فنأتي بني زروال في طيب أرضها بني أحمد جزها ولا تسبك الخمر

ودع عنك أخماس الجهالة وارتحل إلى علم الأعلام يبد لك البدر

فقف عنده واخلع نعالك واغتسل بعين معين الشاذلي يصلح الأمر

وسر صاحب التيسير واصعد على العلا هناك ورب البيت قد دفن السر

إذا أبصرت عيناك روضته التي بها تشرق الدنيا وينمو بها الفخر

فسلم وعظم خاضعا متأدبا لسيدنا عبد السلام لك الأجر

أمرغ يا مولاي خدي لديكم واسبل دمعي حيث قابلني القبر

وأدعو وأبكي ضارعا متوسلا بقدرك عند الله قد مسني الضر

أنادي بكم يا قطب كل موحد نهاري وليلي قد أضر بي الفقر

عساك تريني فضلك الباهر الذي يؤمله كل الورى العبد والحر

أغثني وقل: يا فقر زل عن محبنا هو ابن سعيد عبدكم ذلك الغمر

بجدك خير العالمين توسلي إليك فلا تهمل عبيدك يا بحر

وكتبت إلى شيخنا العلامة ابن يوسف سؤالا نصه:

أيها الشيخ الذي أربى على كل ذي فضل وعلم وعمل

أخبرن عن نحو "لاريب" إذا أشبع المد لوقف من سأل

ماله لايردف الوسطى ولا يردف الصغرى به القوم الأول؟

أي فرق عندهم فيه إذا قيس بالوصل فصوح بالعلل

فأجاب:

ياسيدا ونعم من له الرحل تشتد في العلم لطالب الأمل

سوف وريب عند وقف لن ترى مراتب القراء فيهما الأول

لعارض الوقف والسوء أوقف فيهما وقيت كل سوء يا نعم الأجل

وكان بعض الأصحاب رأى مني يوما مالا يري الله فقال بديهة: "ايا ابن سعيد بئس ما أنت صانع". ووقف وكملت بيته بقولي: "متى أنت للرحمان ويحك راجع" وزدت على هذا البيت أربعة وهي:

أطعت على عصيانه النفس كلما دعتك إلى سوء الفعال تسارع
فلا بكتاب الله ويحك تقتدي ولا لحديث المصطفى أنت تابع
فكم سمعت أذناك زاجر وعظه كفاك هدى لو أن قلبك سامع
أضعت وبئس الفعل واجب حقه وما حظ هدي النفس عندك ضائع

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

وضرب المرحوم مولانا الوليد قبة يوما في "بستان المسرة" ونحن معه، وقلت في ذلك، وكان زمان الربيع، وأنشدتها له:

ياصاحبي أديراها فلا عجبا هذي المسرة سرتنا كما وجبا
وذي مناره دار الملك مشرفة على الحدائق تحكي حولها شهبا
وذا النسيم وقد حيى الغصون بها وغنت الطير فاستصغى لها القضبا
وفي الأرنج خدودهن في حلل خضر وذا السرو يخطي حولها الرقبا
كأنما قطع الأزهار تختلفا ألوانها درر قد خالطت ذهبا
وهذه قبة المولى يحف بها من كل لون يريك حسنه العجبا
راقت ورقت معانيها وقد ضحكت لها المسرة واهتمت لها طربا
كأنها قد أبانت من أزهارها حسنا مناقب مولاي التي اكتسبا
أجل ويحكي شذاها كلما عبقت آثاره عندما قد هال أو وهبا
فالله يبقي له الملك السعيد كما يبقيه للملك يحمي العجم والعربا

وكتب إلي العلامة ابن يوسف التاملي سؤالا عن الأمهات الخمس، وأم عيسى، وأمنا حواء عليها السلام فقال:

فما أم شيء لم تناكح ولم تلد وما خلقت ياخير خل وصاحب

وأخرى خليقة ومنكوحة ولم تلد قط مولودا يرى في الصواحب

وأخرى خليقة وما نكحت أتت بمولود إنسان من أسنى العجائب

وأخرى خليقة ومانكحت ولم تلد وهي ترتجي لدفع النوائب

وأخرى خليقة ومنكوحة لها فروع في الأرض والسما كالكواكب

فلله دركم إن أبديت خباها بنظم كدر في نحور الكواعب

ومسك ختامها سلامي تحية كروض عليه جاد هطل السحائب

ثمانية كعد أبواب جنة زفقت عروسا من صدور النجائب

فأجبته بقولي مضمنا لهن ثلاثة أبيات وهي:

بأم القرى أقسمت تعظيم شأنها وآي بها تتلى وأم قراتها

وأم الورى مع أم مومنهم وما كمريم في آياتها وعيانها

لقد كنت قطبا للعلوم ومن لها إذا غبتم لا غبتم عن بيانها

وقلت في عدد نزلات جبريل عليه السلام على المرسلين الأعيان ناظما لهما لتحفظ:

نزول جبريل على أبي البشر عشر مرار كان عن أولي النظر

وضعفها مع ثلاثة أخر على نبي الله نوح في الخبر

وأربعين مرة مع ثمان على خليل الله نوح في الخبر

وسبع مرات لشئت وعلى يوسف أربعا وإدريس العلا

وفي ثلاثين وأربعمئة أتى إلى موسى النبي لينبئه

ثم على داود ستا وابنه في مرتين قد أتاه أذنه

وفي ثلاثين وتنتين أتى عيسى بن مريم كما قد ثبتا

ثم على محمد المختار عشرة آلاف من المرار

من بعدها مئة ألف أخرى وذاك تعظيما له وفخرا

عليه مع إخوانه وآله أزكى صلاة الله مع أفضاله

ومن يكن يحفظ هذا العددا مفصلا له كما قد وردا

نيل من الله بهذا نصرا والأمن من عذابه في الأخرى

وعزيت بعض الأصحاب في ولد مات له فقلت:

أبت حرقة الأحشاء إلا اشتعالها ولا فرقة الأحباب إلا اشتمالها

هو الدهر لا يرثي لباك لو أنه بكت عينه يوما دماء أسالها

تنبه لي ريب المنون فأبصرت على البعد عيناه المنى فسعى

كذلك قدما دينه رب نعمة لها رآها على حر فغار وغالها

ولو أنني منه أدلت ابتليته ببين ولكن منية لن أنالها

فلم يبق لي إلا أن لبست تجلدي لدى كل بلوى مستلذا وصالها

وإلا فما يغني بها جزع الفتى كذلك لو يبغي الجهول نزالها

ولست بدهري جاهلا حيث أنني إذا حالت الأيام أنكرت حالها

ولكنني ثبت الحجا متوقع لدى كل حال تعتريني انتقالها

وأرثي بحكم النفس للماجد الذي ثنته على سراء ضراء آلها

فقلت وبعد الدار لم يثن همة صرفت لحسن العهد اشتغالها

تعزا أبا زيد بنفس كريمة وأكد بحسن الصبر منك جمالها

تعاظمت في نفس الزمان فلم يزل يجنبك الجلي وينفي وبالها

فلما رأى عن غيبة منك فرصة تبادر إذ لم يلف قط مثالها

على أنها صدع الفؤاد وإنما يرى مثلك الحر الكريم احتمالها

لديك من القرآن أعظم قدوة فحكمته للنفس تشفي اعتلالها

وهذبها منك الحديث وأجره   وبالعلم رب الخلق أصلح بالها

ولو لم تكن إلا بصحبة ماجد   ظفرتم أتاحت للهموم انسلالها

تسل فإن المجد والعز والعلا   بخدمته الغراء استفدت كمالها

وزيرية العلياء أعلنت منارها   وليدية قد أمنتك اختلالها

فلا زال عن تلك المعالي أساسها   ولا فقد الإسلام إلا زوالها

ولازالت الأقدار تعنوا لقدرها   على رغم ذكره إذا ما استطالها

وقلت، مهنئا لأخينا وابن عمنا الفقيه الأجل النبيل الأحفل، أبي عبد الله السيد محمد بن عبد الله بن عبد الله المرغيثي حين تولى القضاء عام 1062:

بشر السجع باللقا يا هزار أم تذكرت يوم شط المزار

سجعة فوق نبعة قد أسالت دمعة هجت لوعة ياهزار

ياخليلي سائلا الحي عني غادروني رهين شوق وساروا

عد ياعن هواي فيهم ولكن اديا عن جوايا إذ ما يثار

علهم يانفون أن يخفروا من حبهم عهده فهم أخيار

أو يرقوا لمستهام كسير ال قلب لاوصل يرتجي لا انجبار

سمياني فلا أقل اعتبارا من خطوري ببالهم إذ يثار

قد كفتهم وسيلة العهد لولا أنهم في الهوى تعدوا وجاروا

إن للحب صولة فانج منه يستوي عندها مجار وجار

حجتي حيثما نأوا فاعتداء وإذا ما لقيتهم فاعتذار

مر بها على قليبي زمان فيه كأس المنى علينا تدار

حيث شملي وشملهم واطمأنت بالأماني كيفما شئت دار

قد دعا للهوى ودهري نؤوم بدرتم فكان مني البدار

كم رياض قطفت زهر الأماني عندها لابها رقيب يغار

غفل الدهر فاختلسنا رغيد الـ عيش منه فلم يشنه ازورار

مثلما أدرك ابن عبد الإله الـ عز منه ولم يخنه انتصار

شد قوم إلى العلا ثم أضحى بينهم لايشق منه غبار

إنهم حلبة فجلى وصلوا قصب السبق حازه إذ أغاروا

يا ابن عبد الإله فانعم هنيئا نلت عزا ولم يشبه انكدار

أطلعت بدرك المنير سعود حيث لارصد منتج واختيار

لم تزل تنبئ البرايا لديكم أن ستعلوكم مزايا غزار

ثم لم تلبث أن علوت عليهم حين أصفاك للقضاء الخيار

خطة تنتقيك أن تلتقيها ترتقيها وفي قراها القرار

نحمد الله ولنهنك فيها إذ يهنيك يا ابن عم الفخار

دم بما قد وليت منها شهابا للورى دائما به يستنار

ثم إنا إذا نهنيك ندري أن تلاقاك السيد المزوار

فله الفضل أولا وانتهاء شكره واجب به الإقرار

عادة منه تقتضيها سجايا مسك دارين أصلها أو نظار

عالم عامل رضي لوذعي زانه الحلم والوفا والوقار

من له في العلوم باع مديد   حسبك اليوم صيته واشتهار

واحد العصر جهبذ ذو لسان   تفلق الصخر قد جلاها اقتدار

كم بدا في هدى أولي العلم قطبا   حوله في المدا يكون المدار

حاطه في كماله وعلاه   ربنا جل الواحد القهار

لاعدمت الرزايا في الدهر إن لم   يبد لي اليوم فضله والنجار

أو لم أعرفه حقه قبل, أو لم   يملك القلب حبه والأوار

وسلام على معاليه يحكي   عرفه المسك دائما والبهار

وقلت في موت الحلفاوي:

لئن كان فردا في العلا عبد واحد فقد رزأت فيه العدا كل واحد

سأنسى ولا أنسى مقال نعاته لقد مات حلفاوينا عبد واحد

فلو أن قلبا كان من صخر تذمرا لدى نعيه يفنى بتلك الشدائد

أعيني: سيلا بعده ثم أسبلا مدامع وتهيامي به من شواهدي

فلله ما أزكى وأظرف شيمة وأحلى مقالا في الحلا والقصائد

على أنه زين المحافل مرتضى مليح السجايا ماجد وابن ماجد

صفي، وفي، ذو الندى متفضل على كل حب، ذو التقى خير عابد

مليح بخلقه، فصيح بنطقه رئيس بناديه، أنيس المشاهد

مضى وإله الخلق، نرجو بفضله يبوءة في الخلد أعلى المقاعد

فأقسمت لا والله لولا خليله عليليش ما طاب السرور لوارد

فأصلحه رب البرية بعده وأبقاه محفوظ العلا والفوائد

وكتبت إلى بعض الطلبة في "إلغ" بسوس:

إلى "إليغ" سلام لا يعارضه "وادي النفيس" ولاثينة الفول

بليدة كل ماتهوى النفوس بها ذات النزاهة والأرباح والسول

قد قيل لي: سبحت خيل الكساد بها يوما، وجالت بها في العرض والطول

فقلت: لاشك في أن مصيبتها بالعين والعين قولا غير مجهول

وأجاب:

قد خيب الله آمال التجار بها فنال أهل "إليغ" منتهى السول

لو نفقت قلتم غلت بها سلع فمثل هذا الكساد معقول

فليسترح من أراد منكم سفرا لسوس وليجتنب ثنية الفول

أزكى السلام على أنجاد حضرتكم مع الأمان مد الأزمان موصول

وقلت:

لئن امسيت في دهري فقيرا كئيبا مدنفا من سوء حال

فإن الله ذو فضل عظيم سيغنيني إذا عجز احتيالي

وهنيت أمير المؤمنين نصره الله ببرء ابنة له:

لك يا بديع سوائك الخضراء يا مجري الأنهار في الغبراء

حمد وشكر ليس ينتهيان ما من الإله بوافد السراء

سر العبيد بما يسر مليكهم من برء ثمرة قلبه الغراء

فأذاقها نعم الشفاء بفضله وأراح من سقم ومن ضراء

فبسجدة وبمريم ونسائها حصنتها وبسورة الإسراء

قلت في بعض المكاتبات لمن طلبوا مني الاشتراك معهم:

يا رائد الحي هل أبصرت ركبانا أم نافعي الدمع إن الحب قد بانا

إن الألى ودعتهم غير قالية نفسي قد أودعوا الأحشاء نيرانا

ما كان إلا لهم ودي وما أخذت منه النوى بل تزيد التغلب تحنانا

لم يمنح الدهر منهم غير أونة مرت فياليتها قد كانت أحيانا

غابوا ويا ليتهم ابوا وإن بخلوا بالأوب يوما كفانا الطيف إن كانا

قامت قيامتنا لولا تعللنا أهل الهوى بالأماني حين يغشانا

فكم أسالت بروق أرضهم مطرا من أدمعي فغدا وكفا وتهتانا

وكم أطار منامي نوح ساجعة وكم أثار نسيم الريح أشجانا

لو أن وجناء علكو ما تبلغني مغناهم حيث كان الشمل أزمانا

أفري بها لا أبالي حيثما صفعت أديم خرقاء للأحباب عجلانا

أقصى مناي إذا أنخت ناجيتي ببابهم واصلا بالحمد شكرانا

لكن قصاري محب أعوزته منى طيب التحايا لهم سرا وإعلانا

فقلت: مني سلام طاب فائحه على الأفاضل إجمالا ووحدانا

مع السعادة غادية ورائحة يأتي ويوتى من الرحمان رضوانا

فإن تفضلتم يوما بمسألة عنا وفضل علاكم ليس ينسانا

فلتعلموا وإله الخلق يشهد لي إني على حبكم في الله مولانا

لقد أتاني، والأنباء سائرة أن قد ظننتم بنا غدرا وهجرانا

فقلت: كلا معاذ الله يا سكني أن أخفر العهد أن أنساه نسيانا

لكن سأبدي إلى الأحباب معذرتي حتى يروا غير ذاك العذر بهتانا

ولتكتبوا يا سراة القوم رغبتكم فينا ومقصدكم في العبد تبيانا

وعينوا، والسماح من عوائدكم ما قد بذلتم لنا فضلا وإحسانا

والله يكلؤكم طرا ويعصمكم بجاه خير الورى عجما وعربانا

أزكى الصلاة كما غنت سواجع في دوح الرياض له والآل أعيانا

وكتبت أيضا لبعض من كاتبني ولم أعرفه قبل فتعرف هو إلي:

إني وحق الذي أولاك حكمته   في كل فن فكنت منتهى الطلب

لزاد شحط النوى في حب حبكم فصرت للنفس منه منتهى الأربعاء قد كنت أحسب قبل

اليوم ليس لنا   على علاك المشيد الركن من سبب

فلم يرعني سوى استفتاح رسلكم باب المودة كم في الدهر من عجب

ولا أرى من يراني في الورى سكنا   غير الحبيب أبي العباس ذي الرتب

فاقرأه مني سلاما عن تفضلكم على المحب بفضل منك ولتجب

وكتبت أيضا إليه:

أعد حديث أمرئ قد ابتكرا نحو المعالي فكان كيف ترى

فكان لو نال مايشاء فتى بجده نال كلما ابتدرا

ماكان أحلى حديث كل فتى حدث عنكم وأسهب الخبرا

يكون مهما يصف علاك كمن يعين الشمس أو يرى القمرا

فكم تمنى الفؤاد زورتكم فلم يقدر له الذي اعتبرا

وكم كتمت الهوى وبحت به لهاتف الشوق إذ دعا سحرا

فكان محصول مايؤمله قلبي من الأمر كلما ائتمرا

ياهاتف الشوق قد دعوت لهم لو أن سيري لأرضهم قدرا

عسى الزمان المطول ياسكني يقضي على مطله فننتصرا

على الحبيب الذي يسير لنا منه السلام معتكرا

وقلت في المداعبة وختمت البيت الأخير بكلمة بربرية:

أتيت إلى القشاش في سوق رحبة   وعندي جوع مثله قط لم ألق

فقلت له: مالي أراك معبسا   أليس محالا جوع زائركم يبقى؟

وقال: بلى، هل من فلوس؟ فقلت لا   ولكن أجر الله خير لكم حقا

فقال: بصوم العام لاذقت عندنا   بأجرك من هذي الموائد ينوقا

وقلت:

بكيت على نفسي وتضييعها لما مضى من الأيام يا صاح من عمري

ولو أن خيلا ضمرا قد تسابقت لإدراك ما قد فات غاية ما تجري

لما كان إلا أن مضى وتقاصرت عن إدراكه الخيل السوابق في الدهر

ولكنني أستغفر الله علّه يوفقني يوما ويغفر لي وزري

ويختم لي من فضله بسعادة وتبديل وزر في القيامة بالأجر

وقلت:

وهل فاقد الأحباب إلا كفاقد شبابا وهل هذان إلا كما الميت

وهل هذه الأرزاء إلا كما إذا وقفت بباب سائلا صاحب البيت

دخلت فاس عام 1039 فوجدت الثمانيات العبدلية عندهم مطروحة والأحمدية بها يتعاملون وزادوا في صرفها، فأتيت خبازا بعبدلية فردها علي فقلت في ذلك بعد ان قال لي: ائتيني الأحمدية البهاوية. فقلت: ماهي؟ فقال: الجديدة المكتوب فيها السلطان أحمد، فألغزت ذلك ملتزما بين كل بيتين:

يارب خباز شجاني وقد أوهى القوى مني جوع وقد

يقول من صحف لي قصة يأتي بها يقبلها من نقد

فإنني أعطيه عن شمسه بدرا ولا غبن إذا من أحد

فقلت: عندي مثل شمس الضحى لاينثني عن عشقها من أحد

بنت ملوك الغرب قد أعلنت لله توحيدا بلا معتقد

فقال لي، إذ شاقه وصفها إلى الوصال عاجلا هات قد

فصاح، بعد العقد والنقد، لو لم تك بنت العبد زال الكمد

ياليتها إذ انتهى حسنها صحفت البين لنا محمد

وقلت في الناعورة:

ونائحة لا من فراق أحبة ولا ولد صارت بفقدانه ثكلى

فياه تراه حين ترزم تارة كما رزمت عيساء قد شكت الحملا

وليس بكت عمدا ليضحك دمعها عوابس زهر في الرياض إذا أنهلا

وينبت قضبان الزبرجد قينها إذا كرعت في ذوب لؤلئها نهلا

وقلت متغزلا:

قالوا: به الحب، قلت: لكنه حب قلوب للأنام يقتطف

وإن يكن ماترون أن به داء فيشرى فسوف يعترف

الحب إلى عشيقا له حقيقا وبالهوى دنف

ويسفر الأمر أن لي عنده حبا على الدهر ليس يختلف

وقلت لبعض أصحابا وقد شاورني في الشرط:

خليلي فاقبل من محبك نصحه ودع قول غيري قد أخطأ

عليك بدرس العلم عمرك واشترط على النفس في دنياك أن تترك الشرطا

ولما قدم شيخنا العلامة سيدي ومولاي عبد الهادي بن شيخنا سيدي ومولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني عام ثمانية وأربعين وألف من الحج، وكان مجاورا بطيبة الشريفة، كتبت إليه كتاب تهنئة في ضمنه هذه الأبيات:

محل سواد العين مني محله ولكن سويداء الحشا حل أهله

هم السول لو أن الزمان مساعد لما صدني عن السياق وسهله

فلم يبق للمشتاق إلا تحية يبلغها عني فتى جل فضله

يقبل عني الأرض حول بيوتهم فقد تجزئ المشتاق في ذاك رسله

ليهنيكم يا أهل ودي حجكم وزورتكم من طاب بالفرع أصله

هنيئا لكم يا سادتي في مقامه جوار مباح فيه للحب وصله

طويتم إليه البيد من كل فدفد وأعملتم الأدب العتاق تفله

إلى أن أنيخت في ذرى خير مرسل هو الرحمة المهداة والخير كله

فلا عجب أن عاد للأصل فرعه ولا غرو أن يأتي الغضنفر شبله

هنيئا مريئا يا موالي إنكم أتيتم فخارا ليس للخلق مثله

فمبرور حج زيارة جدكم وأنتم حقيقا لامحالة نسله

موالي: إن العبد عبدكم الذي له فيكم حب هو الوعر شغله

سأدلي به يوم القيامة والفنا هناك مع المحبوب يوصل حبله

وأزكى سلاما للذي ضم جسمه محل سواد العين مني محله

كتبت يوما إلى العلامة ابن يوسف فأجابني وكتب معه:

عليك يانجل سعيد سلام يعوج به في واديكم وإلام

جوابكم لاريب إني بعثته إليكم وهل لديك مقام

ولكن بفضلكم فسامح نسيجه كنسج خرونق عشاه ظلام

فأجبته:

نعم، كيف لاتبدي، وأنت إمام جوابا له عند العجول مقام

جواب أصبت الحق فيه وإنما أصابت به نحو السؤال سهام

أتى أرض قلبي مثلما وقع الحيا على حزن الأرضين وهو سجام

كفى وشفى داء وهذي تحية يقبل فيها أخمصيك غلام

ومن قولي:

رجوتك يامن لايخيب إذا أتى إلى بابه الراجي والمؤمل

أعزني، أجرني من عذابك إنه شديد وأنت الراحم المتفضل

وقلت، وقد سمعت حماما ساجعا يصير القلب خاضعا:

بالله يا عين نوحي واخضع لربك قلبي

أهلكتماني فتوبا واستغفر الله ربي

هذا حمام تباكي وناح من غير ذنب

إني لأولى بنوح منه على سوء كسبي

وقلت بعدها:

سر من خوفه العصاة ولكن ماجنى مثل ماجنيت العصاة

لكن الله عندما ظن عبد وهي من ربنا إلينا وصاة

وقلت، وقد ضاق حالي فانفرج:

ربي ورب الخلق أنت مهيمن تدري الذي أخفي وإن لم أنطق

مالي سواك وليس لي من رازق في الكائنات معا إذا لم ترزق

وقلت في الاعتراف والاعتذار عن الاقتراف:

بكى الحمام ولم يذنب فكيف بنا ونحن غرقى بسيل الذنب والخطل

كم ليلة بت أعصي غير مكترث بما أتتني به من عنده الرسل

وحق عزك ماعذري إليك سوى ظني وما خاب فيك السؤل والأمل

وقلت في القناعة:

لنفسي في خبز الشعير كفاية إذا ما اشتهت أكلا أتته على مهل
ومهما اشتكت منه الحروشة أمسكت إلى ان يرى بالجوع أماس في الأكل

وكتبت لشيخنا علي بن إبراهيم الأندلسي الطبيب، الرئيس، النجيب، الحكيم الأديب:

ألا أيها الشيخ الحكيم الذي به تشرفت الحمراء بين الأقالم

لديك إذا ما الطب أظلم ليله مصابح تهدي بها كل هائم

فما هو قطع اللحم في بدن الفتى وفي غيره إني له غير فاهم؟

وهل مثله سقم النواخس ام يرى لذلك فرق يا سليل الأكارم؟

ومن أي أمراض الثلاث هما وما علاج وأسباب وهل من غرائم؟

فلازال في الإسلام مثلك ناصحا مفيدا لبيبا فائقا كل عالم

وأجاب:

سلام عليكم شرف الله قدركم ونفعكم بالعلم في كل عالم

وعلمكم علم العلاج وترتقي به رضي الرحمان اعلى المراسم

سئلت سؤالا من حكيم تمهرت عزائمه في المشكلات العظائم

يغوص على سر المعاني ويستقي نفائس در في البحور الخواضم

نعم هو قطع اللحم في بدن الفتى وفي غيره فوق اتصال الدعائم

لأجل ثقل كلف الجسم حملها كذا وثبة الإنسان أو من تصادم

ويفرقه الخلط الحميد ومثله عفوة خلط أو لزوج البلاغم

وهذا انحلال الفرد عم تزوجا وذا مرض الأعضاء ياخير فاهم

وليس من أمراض النواخس إنما يخالف في أسبابه والعلائم

فأسباب أمراض النواخس سابق وأسباب قطع اللحم موصول آلم

فعالجه بالتدليك والمسح بعده بدهن لطيف مثل دهن الحمادم

ورب ضماد مردع الفضل نافع بوقت قريب أو ببعض الملازم

من "الكندر" الحر الذكي ومثله من "الفاسخ" الوشقي بعد التهاشم

ودبره بالتلطيف حتى تحله وفتح وانضج خلطه بالمراهم

فهذا الذي قد صح عندي وإنما يطول عليه الشرح يا ابن المكارم

وكتبت في تعزية في إبن وزوجة ومملوكة، وبين كل بيت لزوم مالم يلزم وتجنيس تام وغيره فانظره:

يا لقوم لخطب دهر توالى كلما سمت منه عتبى تغالى

يا كريم النجار صبرا طويلا من كريم إلى المعالي تعالى

إن أدهى الخطوب في الدهر رزء غال نجلي وغال سلمى ومالا

صاح ياصاح لي جيوش الرزايا فابتدرن طوعا له تتمالا

صال، واشتد، واعتدى، وتعدى هكذا الخطب فليكن أو فلا لا

غار من جمع شملكم غذ أغارت حيلة السود بيضها تتلالأ

صابر الخطب فيه مولاي... أنت شهم الجنان تدعو النزالا

فإذا اشتقت ثمرة القلب فاذكر جدك المصطفى إذا السمر زالا

رب مضني هوى سلا عن سليما حين يدعو هوى سعاد تعالا

وكذا المال عارض زال لكن رازق الخلق ليس يفنى تعالا

إنما المال والأهالي عوار كان قطعا بقاؤهن محالا

ولذا قال سيد الرسل صلى ربنا دائما عليه انتحالا

إن لله ماحبا وله ما أخذته يد اقتدار فحالا

تلك أحوال دهرنا واردات دائما في الأنام حالا فحالا

ولتعز مولاي حسن التعزي سامي القدر لا تجاري كمالا

وكتبت لبعض الإخوان كان غائبا عني بالسوس الأقصى فقلت له:

يا بارقا لاح للعين من سوسا هجت الغرام الذي قد كان مدسوسا

قد شمته في الدجا وهنا فأذكرني حبي قلبي به قد كان مخلوسا

يا ليته أبصرته عين من سكنت قلبي مودته لازال محروسا

وربما كان ذو الأشواق يقنعه معنى إذا فقدت عيناه محسوسا

لذاك حملته تسليم ذي شجن لمن غدا حبه في القلب معروسا

فقلت: هذا سلامي ياأبا الحسن شيعته بعبير الود مبسوسا

يا ليت شعري كيف الدين منك وما تقواك منذ سكنت بعدي السوسا؟

أم كيف حالك بين العالمين بما تعلموا إن للأعمال جاسوسا؟

أم خوفك للنار التي وقدت بالناس والصخر مبثوثا ومكدوسا

يوما ترى زارع الخيرات يحصدها وزارع الشر يلقى الله منكوسا

يوما طويلا كما القرآن بينه خمسين ألفا سنين يا له بوسا

يوما تشيب به الولدان يا سكني ويل لمن حظه قد كان منحوسا

ويل لمن نفسه في الغي مطلقة أو كان عن رشده المسكين محبوسا

ويل لمن قد عصى الرحمان معتكفا على هوى قد أطاع فيه إبليسا

ويل لمن تلفت أمواله وله قلب غدا في هوى دنياه مغطوسا

شمر، وحاذر، وبادر يا اخي أجلا قد كان عنك بغاب الغيب مدسوسا

وابك على الذنب في الليل البهيم ولا تنس الذي قد جنيت منه قدموسا

وعن هفوت فتب في الحين مبتهلا وارج إلها عظيم الفضل قدوسا

أما ترى الموت للأعمار مختطفا كم مصبح في المساء صار مرموسا؟

والعمر، ويحك لاندري بقيته وأن ما فات منه كان ميئوسا

فكن لوردك بالأسحار ملتزما وبعده صل بالاستغفار تقديسا

إن الصلاة على المختار مسحقة للذنب يلقى بها المهموم تنفيسا

إياك والعجب في الأعمال فاحتقرن كما لها إن فيه النقص محروسا

وازهد بقلبك في الدنيا ألست ترى على المزابل مطعوما وملبوسا؟

وجاهد النفس لاتركن لها أبدا في نصحها إن في نجواها تدسيسا

ولترعها في المقال والفعال وفي جهر وسر تجد في الكل تدليسا

واستحضرن عندما تخفى مقايبها وصية بن سعيد تكف تلبيسا

وانظر إلى قوله فرب مخصمة شر تجده حكيما لاجلينوسا

لاتعاير ولاتغتب ولاتزين دونك عبدا ولو من كان جعسوسا

واتبع الشر خيرا يمحه عجلا وحسن الخلق لاتجعله مخسوسا

راس الرياسة فاقطع في الخمول فلا تكن رئيسا وكن في الناس مرؤسا

وإن ضربت بسيف من تواضعكم عند التكبر صار الكبر محسوسا

وادرس من العلم ما للدين مقصده والفهم إذ كان بعض العلم مبخوسا

وبالأهم فخذ في الحين مشتغلا وجنب العقل تشويشا وتهويسا

وعظم العلم والأشياخ معتنيا وكن أديبا إذا حضرت تدريسا

فاسمع إشارتنا وافهم معانيها وعض عليها فإن فيك قاموسا

فلا تغلب على الأثنين منفردا تعكس به حكمة الرحمان يا بوسا

ودع غلامك يقتل وسفينتكم تخرق وقوم جدارا مال ياموسى

واسكن بغابة لاأدري وكن سبعا منك اربطنه وإلا كنت منهوسا

والمزح فاجعل كملح في الطعام وكن في الدهر والناس والأحوال نطيسا

طهر ثيابك من أدران تهمتهم وأغلق الباب وألزم فيه تطميسا

وبيت قلبك صن من لص رايتهم ومن أذى الحسد المذموم منكوسا

ووافقنهم ولكن خالفنهم وسو جهرك والأسرار إن قيسا

ومل إليهم ولاتركن إلى أحد والسر فاجعله تحت الجهر مهموسا

ولا تمار العدو والحبيب فذا يغلي وذاك يرد في الحين دبوسا

والق المقادير بالصبر الجميل لها ولا تتسخط كأن صرت محسوسا

وليكفك العلم من رب الورى أبدا فالزم الفعل زالأوصاب ترميسا

هذي وصايا أتت مني إليك فإن تعمل بها كنت في الدارين مرغوسا

واذكر محبك يامحبوب في غسق بدعوة ترجع الإفساد مرسوسا

وامنن كذاك بتبليغ السلام إلى كل الأحباء والأصحاب تأنيسا

لما رأيت الشيب يوما في وجهي تمثلت بشاهد من شواهد الخليل بن أحمد رحمه الله في مخلع البسيط وهو قوله:

أصبحت والشيب قد علاني ويزني حلة الشباب
إذا تلمحته بطرفي يدعو حثيثا إلى الخضاب

وقلت:

يامبدع الخلق بلا صورة تقدمت ولا مثال عتيد

عليك يارب اعتماد فلا أرجو سواك راحما يا مجيد

فاغفر ذنوبي واكفني كلما علمته بيني وبين العبيد

هذا تعجيز وتصدير لقصيدة منسوبة للشيخ المشايخ أبي مدين نفعنا الله تعالى ببركاته لكاتبه الفقير إلى مولاه الغني به عمن سواه محمد بن سعيد بن محمد السوسي المرغيثي:

ما لذة العيش إلا خدمة الفقرا فقد أتاها رسول الله وابتدرا

فاخدمهم لاتحاش منهم أحد هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهم وتأدب في مجالسهم واسمع من قال منهم واقض ما أمرا

ولا تعارض ولا تختال بحضرتهم وخل حظك مهما قدموك ورا

والزم الصمت إلا إن سئلت فقل صدقا ولا تكتم الأحوال والخبرا

وقل إذا حام حول سرهم أحد لاعلم عندي، وكن بالصمت مستترا

وراقب الشيخ في أحواله فعسى تسمو لدا الهمة العليا فتنجبرا

لابد إن غربت شمس المحاسن أن يرى عليك من استحسانها أثرا

واعلم بأن طريق القوم دارسة من بعد حين ساروا زمرا زمرا

ومن يرد بصدق كيف يدركها وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

واستغنم الوقت واحضر دائما معهم حسا وإلا فبالقلب الذي اعتبرا

ولا تطل غيبة عنهم تفز برضى واعلم بأن الرضى يختص من حضرا

وإن أتى منك ذنب فاعترف وأقم حد العتاب على النفس بما صدرا

واستمطر الحلم منهم واعتذر وأبن وجه اعتذارك عما منك كيف جرى

وقل عبيدكم أولى بصفحكم عما جنى وشفيع الصدق منك يرى

ولطف القول واخضع في الجواب وقل: فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا

هم بالتفضل أولى وهو شيمتهم بين الورى كلهم يعفو إذا قدرا

سلامة الصدر كانت من طبائعهم فلا تخف منهم دركا ولا ضررا

وبالتفتي على الإخوان جد أبدا ولا تباحثهم عن كل ماسترا

وانصر أخاك وعظم قدره أبدا حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا

ولاترى العيب إلا فيك معتقدا فإنه الأصل فيك غاب أو ظهرا

فلا تظن خفاء العيب عن أحد لأنه بين لكنه استترا

وحط رأسك واستغفر بلا سبب حتى يروا قلبك المسرور منكسرا

وانسب لنفسك نقصا مطلقا معهم وقم على قدم الإنصاف معتذرا

متى أراهم وأنى لي برؤيتهم حسا وإلا فقلبي بهم عمرا

يا ليت شعري هل احظى بوصلهم أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا

من لي وأنى لمثلي أن يزاحمهم فهل سمعت بصخر تشبه الدررا

ومن يفته اللقا فالحب يجمعه على موارد لم يلف بها كدرا

قوم كرام السجايا اينما جلسوا يكن جليسهم الرحمان منتصرا

أما تراهم إذا ساروا لحضرته يبقى المكان على آثارهم عطرا

يهد التصوف من أخلاقهم طرفا من حكمة وهي قوة القلب إن ظهرا

ولو أتاهم جميع الخلق كان لهم حسن التصرف فيهم رائقا نظرا

وكم تنفست من أنفاسهم نفسا تحيي القلوب به يا فوز من ظفرا

أدر علي كؤوسا من حديثهم أذكى من المسك أنفاسا إذا نثرا

أجلهم وأواليهم وأوثرهم هم عدتي وغنى قلبي إذا افتقرا

أفديهم ولقد قل الفداء لهم بمهجتي وخصوصا منهم نفرا

هم أهل ودي وأحبابي الذين بهم يطيب عيشي وأجني وصلهم ثمرا

خديمهم لايخاف محنة وبهم غدا يجر ذيول العز مفتخرا

لازال حبي لهم في الله مجتمعا بوصلهم كي أنال بهم الوطرا

حتى ترى حالنا في السر صالحة وشملنا فيه موفورا ومغتفرا

ثم الصلاة على المختار سيدنا ذي المجد والفضل والخير الذي كثرا

وال خير الورى المحمود منهجه محمد خير من وفى بما نذرا

كنت سألت شيخنا أبا الحسن الطبيب فقلت:

أيها الفاضل الذي لم يقارب فضله فاضل ولو في الأقارب

أصبح الطب في دراك جميعا بعدما ضل سعيه في المغارب

ليس يغني سواك فيه فتيلا عن مريض والسئول وطالب

لاولا عندنا امرؤ يدعيه دونك اليوم من فقيه وطالب

سائل قبل البساط ونادى ألق لي السمع يا حكيم وجاوب

من يشمس ظهره قال فيه بعض أهل النهى كره يجانب

عللوا الكره فيه قالوا لطب أفصحن بالبيان فيه وجاوب

أي سقم تراه يحدث عنه أفتنا بالدليل أو بالتجارب

هل مقيس به المسخن ام لا أم له في الخواص يا صاح جانب؟

وانتحى في المسخن الكره أيضا مذهب الشافعي لطب يعايب

والقياس الذي به الحكم طبا فيهما النفع ظاهرا وهو غالب

وإذا كان فيهما الأمر عكسا مطلقا كان ذلك أدهى العجائب

فلتجد أيها الحكيم جوابي لاتماطل ولا تعاطل وكاتب

ولتشفعه بالتي كنت عنها سائلا قبل هذه وطالب

وهي مسألة المشمش يبدو حامضا يابسا بعكس المراتب

مثلما كان قبل نضج وهذا عدو الله عندنا في الغرائب

طالما جاءكم سؤال غريب معضل فانثنى جلي المذاهب

وإذا ماتعذر النظم يوما فليكن سيدي بنثر يخاطب

لاعدمنا وجودكم في بلاد أنت شمس بها تزيل الغياهب

حقوق الطريق نظمتها كما جاءت في الحديث فقلت:

وللطريق حقوق ستة وجبت فإن وفيت بها فاجلس على الطرق

رد السلام، وغض الطرف كف أذى واحفظ لسانا ومر وإنه بلا فرق

فيما روى من سورة "يس" من البركات نظمتها فقلت:

روى أبو جعفر ذو البر عن أبه أبي محمد زين العابدين علي

عن أبه السبط ذي التقوى الحسين عن الإمام أمير المومنين علي

روى أن قال: قال لي المختار سيدنا صلى عليه الإله المالك الأزلي

أيا علي: اتل يس على نية ففي قراءتها صدقا بلا خلل

عشر من البركات قال: أولها من جاع يشبع ويأتي الرزق عن عجل

وإن يكن ضامئا يروى بها وكذا مهما يكن عاريا يكسى من الحلل

ومن تلاها يزوج إن كان عزبا وإن يكن خائفا بالأمن يتصل

وإن تلاها مريض فهي شافية وإن تلاها كذا المجنون ينفصل

عون المسافر فيها ثم إن قرئت عند المريض أفادت خفة العلل

ومن تلاها إذا ضلت بهيمته يوما يجدها فهذا غاية الأمل

ولـه أيضا:

من لم يرضى بما قسم فهو ظلوم ظن أن قد ظلم

يسخط حيث السخط لايقتضي نفعا ولكن ضره علم

قال رحمه الله:

ألم تر البدر في الخضراء وقد نصعا   وانتشر النور في الغبراء مذ طلعا

يحكي في أرباب دولته   على بساط حرير أخضر وضعا

ناديته رافعا صوتي وقد أخذت   مني الهموم فخلت القلب منصرعا

يا أيها القمر الملقي أشعته   على البطاح وزان الليل إذ سطعا

بالله غب ساعة مازلت تذكرني   عهدا مضى لي مع الاحباب وانقطعا

عهدا مضى لي الحمراء مذ زمن   تقطعت كبدي مذ ذكره قطعا

...

زيارة أهل الله من أعظم الذخر وكنز الفلاح في القيامة والحشر

فمن يدع وصف الولاية بعدما وخيرا الخلق وجده بالبصر

وجاء بأمر منه للعمل وعابد وقد أدى ما أوصاه في كل أمر

وأوصى بينه بالعبادة والتقى على وفق ما أوصى به سيد البشر

وقام بنو الانبياء بعد جدودهم فما يرضي من أفعال خير على الأثر

ومن بعدهم من بعدهم ثم بعدهم إلى الله في ورد يوم وفي صدر

فما له مثل في الانام ان ادعى ... محو ...

إِجَازَةُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ الْمِيرَغْتِيُّ لِأَبِي عَلِيِّ الْيُوسِي

وَكَتَبْتُ(أ) إِلَيْهِ مُسْتَدْعِياً لِلإِجَازَةِ مِنَ الزَّاوِيَةِ الْبَكْرِيَّةِ [1] فَأَجَازَنِي فِي الْعُلُومِ كُلِّهَا. وَنَصُّ الإِجَازَةِ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الْحَمْدِ وَمَلِيكِهِ، الْمُثِيبِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَمُعِينِهِ وَشَرِيكِهِ، الْمُجِيزِ لَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْلِيكِهِ، الْمُرْسِلِ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ رَسُولَهُ، فَبَلَّغَ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَتَسْكِينِهِ وَتَحْرِيكِهِ. وَقَالَ: ((لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى))[2]. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةً تَعُمُّ(ب) مِنْهُ أَصْلاً وَفَرْعاً، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

وَبَعْدُ، فَيَقُولُ عُبَيْدُ(ت) رَبِّهِ، وَأَسِيرُ ذَنْبِهِ، مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْمِيرَغْتِيُّ ثُمَّ السُّوسِيُّ أَنَّ أَخِي وَحَبِيبِي السَّيِّدَ الْحَسَنَ بْنَ مَسْعُودٍ الْيُوسِيَّ قَدِ اسْتَجَازَنِي فِي كُلِّ شَرْعِيٍّ مِنَ الْعُلُومِ، مَعَ أَنَّ مَقَامَهُ الَّذِي سَمَا سَمَاءَهَا مَشْهُورٌ وَمَعْلُومٌ. وَفِي مِثْلِهِ قِيلَ: قَدِ اسْتَسْمَنَ ذَا وَرَمٍ، وَنَفَخَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ[3].

الوافر

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَوْهَامِ شَيْءٌ (ث) ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ [4]

وَفِي مِثْلِي قِيلَ: تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ[5].

الوافر

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى — إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ

وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ — وَصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الْهَشِيمُ (6)

وَلَكِنِّي لَمْ يَسَعْنِي لِفَرْطِ مَوَدَّتِهِ إِلَّا الْإِذْعَانُ وَالاسْتِسْلَامُ، وَهِيَ شِنْشِنَةُ (ج)[7] الْأَلِبَّاءِ(ح) الْكِرَامِ. فَقُلْتُ

أ- وبعثت ب- "ج": نعم

ت- "ج": عبد

ث- "ج": الأذهان ج- في "أ" و"ب": سنشنة. والتصحيح من "ج". ح- "ج": الآباء

1- الهامش 1، ص 63

2- صحيح البخاري

3- استسمن ذا ورم: يُضرب المثل عند خطأ الرأي في استجادة القبيح، واستحسان الخبيث. زهر الأكم 3/178

4- البيت للمتنبي، ديوانه 3/92. التمثيل والمحاضرة 111:

وليس يصح في الأَفْهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

من قصيدة مطلعها: شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ تُرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلْعُ النَّخِيلِ

5- يضرب المثل لمن خبره خير من مرآه. مجمع الأمثال 1/129-131.

6- البيتان لأبي علي البصير. شاعر، بليغ. الفهرست 1/178. بهجة المجالس 2/527.

اقشعرت: تجمعت وتقبضت. اللسان (قشعر). صوح: يبس. اللسان (صوح)

7- الشِّنْشِنَة: الطبيعة والخليقة والسجية. اللسان (شنن)

وَالسَّلَامُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى التَّمَامِ.

قَدْ أَجَزْتُ لِأَخِي وَحَبِيبِي أَبِي عَلِيٍّ السَّيِّدِ الْحَسَنِ (بْنِ (أ) مَسْعُودٍ) (ب) الْيُوسِيِّ جَمِيعَ مَرْوِيَّاتِي مِنْ مَقْرُوءٍ وَمَسْمُوعٍ، وَمُتَأَوَّلٍ وَمَوْجُودٍ، وَكُلِّ مَا صَحَّ عِنْدَهُ أَنَّهُ مِنْ ذَلِكَ. أَجَزْتُ لَهُ أَيْضاً كُلَّ مُجَازٍ لِي، بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْإِجَازَاتِ حَصَلَ لِي. وَأَجَزْتُ لَهُ أَيْضاً كُلَّ مَا وَقَعَ لِي مِنْ مُقَطَّعَاتٍ فِي الْعُلُومِ، مِنْ مَنْثُورٍ وَمَنْظُومٍ. هَذَا عَلَى الْجُمْلَةِ.

وَ[ت] أَمَّا عَلَى التَّفْصِيلِ، فَأَذْكُرُ بَعْضَهُ خَوْفَ التَّطْوِيلِ. فَمِنْ ذَلِكَ كُتُبُ الإِسْلَامِ وَمِعْصَمُهُ، الْمُوَطَّأُ[1] وَالصَّحِيحَانِ[2]، وَالتِّرْمِذِيُّ[3]، وَالنَّسَائِيُّ[4]، وَأَبُو دَاوُودَ[5].

وَ[ت] أَمَّا صَحِيحُ الْبُخَارِي فَبِالسَّنَدِ الَّذِي لَا يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا أَعْلَى مِنْهُ عَنِ الشَّيْخِ الْحَافِظِ الْحَسَنِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَايَ، وَسِبْطِ مُحَيَّايَ، سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ طَاهِرٍ الْحَسَنِيِّ السِّجِلْمَاسِيِّ[6] رَحِمَهُ اللَّهُ سَمَاعاً عَلَيْهِ لِنَحْوِ نِصْفِهِ بِقِرَاءَةِ وَلَدِهِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَايَ عَبْدِ الْهَادِي[7].

وَبَاقِيهِ بِالإِجَازَةِ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ شُيُوخِهِ، مِنْهُمْ: الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّيِّدُ [ب] مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ الْقَصَّارُ الْقَيْسِيُّ[8]، عَنِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ خَرُوفٍ التُّونُسِيِّ[9] عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ

أ- "[ب]": ابن ب- ساقطة من "ج"

ت- زيادة من "ج"

1- الموطأ في الحديث، للإمام مالك بن أنس الحميري (179هـ). كشف الظنون 1907/2. الهامش 1، ص10

2- المقصود "صحيح" مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ) أحد الأئمة الأربعة. سير أعلام النبلاء 12/557-580. تهذيب الكمال 7/95-97. كشف الظنون 1/555-558.

و " الجامع الصحيح " لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ). انظر: الهامش 1، ص55

3- يقال له: صحيح الترمذي، والجامع، وسنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي(279هـ). تقدمت ترجمته في الهامش1، ص31. كشف الظنون 1/559.

4- أي السنن الكبرى والصغرى للنسائي، أبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب (303هـ). إمام، حافظ، ناقد الحديث. سير أعلام النبلاء 14/125-135. كشف الظنون 2/1006. وفيات الأعيان 1/77-78.

5- أي سنن أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ). من أئمة الحديث وحفاظه. سير أعلام النبلاء 13/203-221. وفيات الأعيان 2/404-405

6- الهامش3، ص54

7- هو أبو محمد عبد الهادي بن عبد الله بن علي الحسني(1056هـ): أكبر أبناء عبد اللّه. تقدمت ترجمته في: الهامش 8، ص64

8- الهامش2، ص 64

9- أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي (966هـ). إمام، حافظ، معقولي، بياني. درة الحجال 2/208-209. مرآة المحاسن 75. فهرسة المنجور 69-71. شجرة النور 281-282.

الطَّوِيلِ الْقَادِرِيِّ [1] عَنْ شِهَابِ الدِّينِ [2] عَنِ ابْنِ أَبِي الْمَجْدِ الدِّمَشْقِيِّ [3]، عَنِ الْحَجَّارِ [4][أ]، عَنِ الزَّبِيدِيِّ [5]، عَنْ أَبِي الْوَقْتِ عَبْدِ الْأَوَّلِ ابْنِ [ب] عِيسَى السِّجْزِيِّ [6]، عَنِ الدَّاوُودِيِّ [7]، عَنِ ابْنِ حَمَّوَيْهِ السَّرْخَسِيِّ [8]، عَنِ ابْنِ مَطَرٍ [9]، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ [10] رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ الخ.

وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُ الْحَدِيثِ عَلَى الْعُمُومِ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُ الْفِقْهِ الْمَالِكِيِّ عَلَى الْعُمُومِ؛ مِنْهُ ((الْمُدَوَّنَةُ السَّحْنُونِيَّةُ))[11] وَمُخْتَصَرَاتُهَا، وَمِنْهُ ((رِسَالَةُ)) ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ [12]، وَفَرْعِيِّ الْإِمَامِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَأَصْلَيْهِ [13]، وَمُخْتَصَرُ أَبِي الْمَوَدَّةِ خَلِيلِ بْنِ إِسْحَاقَ [ت][14].

أ- "ج": الحجازي ب- "ب"، "ج": بن

ت- في "أ" و"ب": بن أبي إسحاق. والتصحيح من "ج"، ومن مصادر ترجمته.

1- لم أقف على ترجمته.

2- ربما هو شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852هـ). تقدمت ترجمته في الهامش9، ص68

3- لم أقف على ترجمته.

4- أحمد بن أبي طالب الحجار (730هـ). محدث، اشتهر بالعلم والصلاح. ترجمته في: معجم شيوخ الذهبي92

5- أبو عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي (631هـ). فقيه، فاضل، متدين. كان متصدرا للتدريس. ترجمته في: سير أعلام النبلاء 22/357-359. الأعلام 2/253

6- أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي (553هـ). إمام، زاهد، محدث. ترجمته في: سير أعلام النبلاء 20/303-311. وفيات ابن قنفذ 282. وفيات الأعيان 3/226

7- أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد الداوودي (467هـ). إمام، ورع، من سادات رجال خراسان. ترجمته في: سير أعلام النبلاء 18/222-226. طبقات الشافعية الكبرى 5/117-120. فوات الوفيات 2/295-296

8- أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن حَمَّوَيْه السرخسي الحموي (381هـ). محدث، خطيب، ثقة. ترجمته في: سير أعلام النبلاء 16/492-493. النجوم الزاهرة 4/161

9- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبْرِيّ البخاري (320هـ). محدث، ثقة. روى الجامع الصحيح عن البخاري. ترجمته في: سير أعلام النبلاء 13-10/15. الوافي بالوفيات 245/5. وفيات الأعيان 4/290

10- الهامش 1، ص55

11- أصلها أسئلة سألها أسد بن الفرات لابن القاسم، ثم قام سحنون بترتيبها وتبويبها بعد أن عرضها على ابن القاسم. وسحنون هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد الحمصي المغربي (240هـ). فقيه المغرب. لقب بسحنون لحدة ذكائه. انظر: سير أعلام النبلاء 12/63-69. وفيات الأعيان 3/180-182

12- الهامش7، ص52

13- أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (646هـ). فقيه، أصولي، متكلم. ترجمته في: غاية النهاية 508/1. بغية الوعاة 134/2-135. وفيات ابن قنفذ 319. وفيات الأعيان 3/248-250، كشف الظنون 2/1370

14- الهامش 6، ص53.

وَمِنْهُ كُتُبُ عِلْمِ الأُصُولِ، (وَكُتُبُ التَّفْسِيرِ، وَكُتُبُ عِلْمِ الْبَيَانِ، وَكُتُبُ الْقِرَاءَاتِ رَسْماً وَتِلاوَةً)(ت)، وَكُتُبُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ مِنْهَا (أ) كِتَابُ ابْنِ إِسْحَاقَ[1]، وَمُخْتَصَرُهُ لابْنِ هِشَامٍ[2]، وَالْكَلاَعِي[3] وَغَيْرِهِمْ، وَكِتَابُ ابْنِ سَيِّدِي (ب)

النَّاسِ الْيَعْمُرِيِّ[4]، وَ((الرَّوْضُ الأنفُ)) لِلسُّهَيْلِيِّ[5]، وَ ((الزَّهْرُ الباسِمُ فِي سِيرَةِ أَبِي الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[6]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُخْتَصَرَاتِ فِيهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ كُتُبُ الْحَدِيثِ الْمَسَانِيدِ [ت] وَالسُّنَنِ، كَمُسْنَدِ أَحْمَدَ [7]، وَمُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ[8]، وَمُسْنَدِ الدَّارِمِيِّ[9]، وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ[10]،

أ- "ب": ومنها ب- "ج": سير

ت- "ج": المسانيد

1- محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المديني (151هـ). صاحب المغازي والسير. سير أعلام النبلاء 7/33-55. طبقات الحفاظ 82. وفيات الأعيان 4/276-277. كشف الظنون 2/1012

2- أبو محمد عبد الملك بن هشام (218هـ). هذب سيرة ابن إسحاق. سير أعلام النبلاء 10/428-429. وفيات الأعيان 3/177. كشف الظنون 2/1012

3- أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (634هـ). من كبار أئمة الحديث بالأندلس. له: الاكتفا، في مغازي المصطفى. ترجمته في: سير أعلام النبلاء 23/135-140. طبقات الحفاظ 500-501

4- محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري (734هـ). مؤرخ، عالم بالأدب، ومن حفاظ الحديث. له: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. البدر الطالع 2/249-251. الوافي بالوفيات 1/289-311. كشف الظنون 2/1183. معجم سركيس 1/125-126. المصنفات المغربية في السيرة النبوية 2/242

5- هو كتاب " الروض الأنف والمشرع الروى، فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واحتوى " لأبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي الأندلسي (581هـ). نحوي، لغوي، عالم بالتفسير وصناعة الحديث. طبقات الحفاظ 481. وفيات الأعيان 3/143-144. كشف الظنون 1/917. معجم سركيس 1/1061-1062. المصنفات المغربية 1/104-113

6- " الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم " لأبي عبد الله علاء الدين ابن قَليج مُغَلْطَاي (762هـ). تركي الأصل. مؤرخ، عارف بالأنساب، من حفاظ الحديث. ترجمته في: مقدمة " الإشارة إلى سيرة المصطفى " له، بقلم: محمد نظام الدين الفُتَيِّح. النجوم الزاهرة 11/9. المصنفات المغربية 2/237. الأعلام 7/275

7- أحمد بن محمد بن حنبل (241هـ). إمام المذهب الحنبلي. ترجمته في: طبقات الحنابلة 1/4-21. طبقات الحفاظ 189-191. طبقات الشافعية 2/56-58. طبقات الشافعية الكبرى 2/27-63. كشف الظنون 2/1680

8- الهامش 2، ص10

9- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الدارمي (255هـ). مفسر، فقيه، من الحفاظ المتقنين. ترجمته في: طبقات الحفاظ 239. سير أعلام النبلاء 12/224-232. كشف الظنون 2/1682

10- أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (273هـ). حافظ مفسر. ترجمته في: طبقات الحفاظ 282-283. سير أعلام النبلاء 13/277-281. كشف الظنون 2/1004.

وَ[أ]ابْنِ حِبَّانَ[1]، وَالْحَاكِمِ[2]، وَالْبَيْهَقِيِّ[3]، وَابْنِ خُزَيْمَةَ[4]، وَ((الْمَصَابِيحِ)) لِلْبَغَوِيِّ[5]، وَغَيْرِ ذَلِكَ كَكِتَابِ ((الأَنْوَارِ السَّنِيَّةِ)) لابْنِ جُزَيْ[6].

وَمِنْهَا فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ كُتُبُ ابْنِ مَالِكَ [7] كُلُّهَا الْمَنْثُورُ مِنْهَا وَالْمَنْظُومُ، وَكُتُبُ ابْنِ الْحَاجِبِ[8] كَذَلِكَ، وَكُتُبُ ابْنِ هِشَامٍ [9] كَذَلِكَ، وَمَنْظُومَةُ ابْنِ مُعْطِي [10]، وَمُقَدِّمَةُ ابْنِ أَجُرُّوم[11]، وَالْجُزُولِيَّةُ[12].

أ- ساقطة من "ج"

1- أبو حاتم محمد بن حبان (354هـ). إمام، حافظ، شيخ خراسان، عالم بالطب والنجوم. ترجمته في: طبقات الحفاظ 375-376. طبقات الشافعية الكبرى 131/3-135. سير أعلام النبلاء 92/16-104. كشف الظنون 2/1003

2- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري (405هـ). فقيه، حافظ، ثقة. إمام المحدثين في عصره. ترجمته في: طبقات الحفاظ 410-411. طبقات الفقهاء 222. سير أعلام النبلاء 162/17-177

3- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ). فقيه، حافظ، أصولي. ترجمته في: طبقات الفقهاء 233. طبقات الشافعية الكبرى 8/4-16. سير أعلام النبلاء 163/18-170

4- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (311هـ) : من حفاظ الحديث. ترجمته في: طبقات الحفاظ 313-314. طبقات الفقهاء 198. طبقات الشافعية 99/2-100. طبقات الشافعية الكبرى 109/3-119. سير أعلام النبلاء 365/14-382

5- " مصابيح السنة " لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (516هـ). إمام في التفسير والفقه والحديث. يلقب بمحيي السنة. ترجمته في: طبقات الفقهاء 252. طبقات

الشافعية 281/2. طبقات الشافعية الكبرى 80-75/7. سير أعلام النبلاء 443-439/19. كشف الظنون 1685/2. معجم سركيس 1/573

6- " الأنوار السنية في الألفاظ السنية " لأبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الأندلسي (741هـ). إمام، حافظ، مقرئ، خطيب. انظر: معجم المطبوعات المغربية 76

7- منها: لامية الأفعال، الألفية، تسهيل الفوائد وشرحه، المقصور والممدود، ... تقدم في الهامش 7، ص56

8- تقدمت ترجمته في الهامش 13، ص 72. له: الشافية في التصريف، الكافية في النحو، المقصد الجليل في علم الخليل، الإيضاح في شرح المفصل، ...

9- أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام (761هـ). نحوي مشهور. له تآليف في العربية منها: أوضح المسالك، عمدة الطالب، شذور الذهب، قطر الندى، مغني اللبيب، الجامع الصغير،... ترجمته في: البدر الطالع 402-400/1. الدرر الكامنة .

10- " الدرة الألفية " في النحو لأبي الحسين يحيى بن عبد المعطي الزواوي المغربي (628هـ). فقيه، نحوي. ترجمته في: سير أعلام النبلاء 324/22. وفيات الأعيان 197/6. كشف الظنون 1/155

11- مقدمة في النحو لمحمد بن محمد الصنهاجي المعروف بابن آجروم (723هـ). لها شروح كثيرة. كشف الظنون 2/1796-1797. بغية الوعاة 1/238-239. درة الحجال 2/109. شجرة النور 217. النبوغ 1/210

12- المقدمة الجزولية في النحو، وتسمى أيضا: القانون، الكراسة، الاعتماد. صنفها أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (677هـ). انظر: سير أعلام النبلاء 21/497. وفيات الأعيان 3/488-491. كشف الظنون 2/1800. النبوغ المغربي 1/152-153.

وَمِنْهَا كُتُبُ الْفَرَائِضِ مَنْظُومُهَا وَمَنْثُورُهَا، وَكُتُبُ الْحِسَابِ كَذَلِكَ، وَكُتُبُ الْهَنْدَسَةِ، وَكُتُبُ الْمَنْطِقِ كَذَلِكَ، وَكُتُبُ الطِّبِّ كَـ ((الْقَانُونِ)) وَمَنْظُومِهِ[1]، وَمِنْ ذَلِكَ كُتُبُ عِلْمِ الْكَلَامِ مَنْظُومُهَا وَمَنْثُورُهَا كَـ ((الإِرْشَادِ))[2]، وَكِتَابِ الإِمَامِ ابْنِ زَكْرِي[3]، وَعَقَائِدِ الإِمَامِ السَّنُوسِيِّ الْخَمْسَةِ[4]، وَمَا لَهُ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَمِنْهُ ((مَنَاسِكُ)) خَلِيلٍ[5]، وَالْحَطَّابِ[6].

وَمِنْ ذَلِكَ كُتُبُ عِلْمِ التَّصَوُّفِ كَـ ((الرِّسَالَةِ)) لأَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ[7]، وَ ((الْحِكَمِ الْعَطَائِيَّةِ))[8]، وَمَا لِلشَّيْخِ زَرُّوقٍ عَلَيْهَا[9]. وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ ((إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ)) لِلْغَزَّالِي[10]، وَ ((قُوتِ الْقُلُوبِ)) لأَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ[11]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ

نَذْكُرُهُ خَوْفَ الطُّولِ، كَكُتُبِ التَّنْجِيمِ وَالتَّوْقِيتِ، وَكُتُبِ السِّيمْيَاءِ، كَالْجَدَاوِلِ بِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَمَا وُضِعَ عَلَيْهَا كَالْجِزَنَّائِيِّ[12]، وَمَنْظُومَةِ الْعَامِرِيِّ[13]، وَمَنْظُومَةِ شَيْخِنَا

1- "القانون" و"الأرجوزة السينائية" في الطب لأبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا البخاري (428هـ). فيلسوف، طبيب. انظر: أخبار العلماء 268-278. عيون الأنباء 401-421. معجم سركيس 127/1-132

2- لإمام الحرمين الجويني (478هـ). كشف الظنون 68/1. تقدمت ترجمته في: الهامش 8، ص62

3- هو كتاب "محصل المقاصد" لابن زكري (899هـ). تقدم في: الهامش 1، ص 58

4- "عقيدة أهل التوحيد" (الكبرى)، "عمدة أهل التوفيق والتسديد"، مختصر "عمدة أهل التوفيق والتسديد"، أم البراهين (الصغرى). كشف الظنون 170/1. وفي 1157/2-1158. ترجمته: الهامش 4، ص56

5- كشف الظنون 1831/2. ترجمته في: الهامش 6، ص53

6- اشتهر بهذا الإسم علمان:

- أبو زكريا، يحيى بن محمد الرعيني الشهير بالحطاب (993هـ). عالم عرف بالصلاح والدين. ألف في الفقه والمناسك والحساب.. ترجمته: شجرة النور 279. درة الحجال 188/2-189. م. المطبوعات المغربية 90-91.

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان الرعيني الأنصاري، الشهير بالحطاب (954هـ). عالم، محقق، متبحر في العلوم. له: شرح مناسك خليل. ترجمته في: شجرة النور 270. معجم المطبوعات المغربية 91-92

7- الهامش 7، ص52

8- حكم منثورة على لسان أهل الطريقة، لأبي الفضل أحمد بن محمد، المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني(709هـ). متكلم، فقيه، واعظ، شاذلي الطريقة. ترجمته في: طبقات الأولياء 421-422. طبقات الشعراني 20/2. الديباج المذهب 70. طبقات الشافعية الكبرى 23/9-24. البدر الطالع 107/1-108. كشف الظنون 675/1

9- وضع أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي (899هـ)، الشهير بزروق، شرحا على الحكم العطائية. انظر: كشف الظنون 675/1. ترجمته في: الهامش 4، ص 20

10- الهامش 3، ص 61

11- الهامش 7، ص 20

12- أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي (749هـ). شاعر، كاتب، عارف بالطب. كان كاتبا في ديوان الإنشاء عند أبي الحسن المريني. نثير فرائد الجمان 335- 343. الإعلام 214/2. النشر 649/2. النبوغ المغربي 1/227

13- لم أقف عليه.

السَّيِّد أَبِي الْقَاسِمِ الْغُولِي الْفَشْتَالِيِّ[1]، فَشْتَالَةَ غُمَارَة، وَمَنْظُومَتِهِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَكَلامِ الأَطِبَّاءِ وَالْحُكَمَاءِ في الطَّوَاعِينِ وَالأَوْبَاءِ، نَظَمَ بِهَا كِتَابَ الشَّيْخِ الْخَطَّابِ[2] فِي ذَلِكَ.

وَكُتُبِ خَوَاصِّ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَخَوَاصِّ الآيِ الْقُرْآنِيَّةِ كَكُتُبِ الْبُونِي [3]، وَالإِدْرِيسِيَّةِ[4]، وَمَا لابْنِ عَبَّادَ [5] رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكِتَابِ الْوَادِيشِي [6]، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَنْظُومَتِنَا فِي الْغَالِي الْوَسَطِ الْمُخَمَّسِ[7] الَّتِي اخْتَصَرْتُ بِهَا كِتَابَ الْمَرْجَانِي [8] رَحِمَهُ اللَّهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَجَزْتُ لَهُ – أَصْلَحَهُ اللَّهُ – أَيْضاً كُلَّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ فَهْرَسَةُ شَيْخِ الْجَمَاعَةِ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَازِي[9]، وَفَهْرَسَةَ تِلْمِيذِهِ الإِمَامِ الْمُحَدِّثِ أَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُقَّيْنِ السُّفْيَانِيِّ [10]، وَفَهْرَسَةَ الإِمَامِ، شَيْخِ الإِسْلامِ أَبِي جَعْفَرَ بْنِ الزُّبَيْرِ [11]، وَفَهْرَسَةَ شَيْخِ شَيْخِنَا الأُسْتَاذِ الْمَشْهُورِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَنْجُورِ [12]، وَفَهْرَسَةَ الإِمَامِ الْمِنْتُورِي [13]، وَفَهْرَسَةَ ابْنِ الْقَدِيمِ[14]،

أ- ساقطة من "ج"   ب- "ج": الحال

ت- "ب"، "ج": ابن

ث- "ب": ابن   ج- "ج": شيوخنا

ح- "ج": المنشوري

1- أبو القاسم الغول الفشتالي (1059هـ). رياضي، فقيه، قاضي فشتالة. وأحد شيوخ محمد بن سعيد الميرغثي. له تآليف في الهندسة والطب. التقاط الدرر 124/1-125. النشر 1438/4. الصفوة 138. النبوغ المغربي 1/255

2- لعله الحطاب أبو زكرياء يحيى بن محمد الرعيني (993هـ). (تقدم في الهامش 6، ص75). له: عمدة الدواوين، في أحكام الطواعين.

3- أحمد بن علي البُوني (622هـ). متصوف، مغربي الأصل. له: شرح الأسماء الحسنى، خواص الأسماء الحسنى، علم الهدى وأسرار الاهتدا،... انظر: كشف الظنون 1033/2، 1161. معجم سركيس 206/1. الأعلام 1/164

4- لم أقف عليها.

5- محمد بن محمد بن عباد (334هـ). مقرئ، نحوي. له: الوقف والابتداء. انظر: الوافي بالوفيات 162/1. كشف الظنون 1470/2

6- لم أقف عليه.

7- لم أقف عليها.

8- لم أقف عليه.

9- الهامش 3، ص 63

10- الهامش4، ص64

11- الهامش 7، ص64

12- الهامش 5، ص64

13- الهامش 6، ص64

14- لم أقف على ترجمته.

وَفَهْرَسَةُ ابْنِ يَعِيشَ [1]، وَفَهْرَسَةُ الإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي زَيْدٍ الأَسْيُوطِيّ [2]، وَفَهْرَسَةُ شَيْخِ الإِسْلاَمِ شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيّ بْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلاَنِيّ [3]، وَفَهْرَسَةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقَصَّارِ [4]، وَفَهْرَسَةُ شَيْخِنَا الْمُعَمَّرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَنَّانِ الأَنْدَلُسِيّ [5]. كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا [أ] حَدَّثَنِي وَأَجَازَهُ لِي مَوْلاَيَ

أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِيُّ الْمَذْكُورُ، وَالْعَلَمُ الْمَشْهُورُ، سَيِّدِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ طَاهِرٍ الْحَسَنِيُّ[6]، رَحِمَهُ اللَّهُ، إِلَّا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْجَنَّانَ فَعَنْهُ بِلَا وَاسِطَةٍ.

وَلْيَسْمَحْ لَنَا فِي إِيرَادِ الْأَسَانِيدِ لِمَا ذُكِرَ أَوْ بَعْضِهِ، إِذْ لَا قُدْرَةَ لِأَخِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ لِمَا عَلِمْتُمْ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ، وَالْمَرَضِ الْمُلَازِمِ[ب] لِلشَّرِّ[7]، وَفِتَنِ الْوَقْتِ، الَّتِي أَوْجَبَتْ كُلَّ مَقْتٍ.

نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ الْكَامِلَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلْيَسْمَحْ وَلْيَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِفَضْلِ دُعَائِهِ الصَّالِحِ، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمُنُّ عَلَيْنَا بِاللُّطْفِ الْجَمِيلِ، فِي الْمُقَامِ وَالرَّحِيلِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الْمَوْلِدِ فَهُوَ فِي عَامِ سَبْعَةٍ وَأَلْفٍ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يَخْتِمَهُ بِالْحُسْنَى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَكُتِبَ فِي مُنْسَلَخِ شَهْرِ رَبِيعٍ الثَّانِي عَامَ ثَلَاثَةٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْفٍ. رَزَقَنَا اللَّهُ خَيْرَهُ، وَوَقَانَا ضَيْرَهُ، مُصَرِّحاً بِالْإِجَازَةِ الْمَذْكُورَةِ لِمَنْ ذُكِرَ، مُتَلَفِّظاً بِهَا عُبَيْدُ رَبِّهِ (وَأَسِيرُ ذَنْبِهِ) [ت] مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْمِيرْغْتِيُّ ثُمَّ السُّوسِيُّ. لَطَفَ اللَّهُ بِمَنِّهِ[ج]، آمِينَ.

وَقَدْ تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَلْفٍ. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

أ- "ج": بما ب- "ج": اللازم ت- ساقطة من "ج"

ث- "ب"، "ج": به

1- أبو الحسن طارق بن موسى بن يعيش المخزومي (549هـ). عالم بالحديث. كان شيخا صالحا، ثقة، عالي الرواية. ترجمته في: النفح 2/986-987. شجرة النور 142. فهرس الفهارس 1/466، 1165. الأعلام 3/218

2- لم أقف على ترجمته.

3- الهامش 9، ص 68

4- الهامش 2، ص 64

5- الهامش 6، ص 67

6- الهامش 3، ص54

7- الشن: الضعف. اللسان (شنن)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي اصطفى على كل مصطفى من أصفيائه محمده، ومنحه إذ سماه أحمد من كل خلق سني أسناه وأحمده، ونصر له الدين، بالأملاك المجندين، رفع مناره المنير وشيده، وأبلج حجته الساطعة وأبهج حجته الواسعة وآزره وأيده، وأمده بجيوش الخوارق الأطناب الارتياب الممتدة، فنادى ناديه قد تبين الرشد من الغي ثم وفقه الموفق الحكيم وسدده، وجعل سبيل النجاة للبرية في سنن سننه السنية المرشدة، فاهتدى بها من طلعت طوالع سعده في أفق رشده مقبلة ومسعدة، وصدحت ورق الرواية في أدواح الدراية ساجعة ومغردة، فاجتنيت أزهار السلسلة المسندة، ورنت أنوار العنعنة المطلقة والمقيدة، فتبختر بكلل المعاني المباني في مسارح المثاني أبصارا وأفئدة، واستفيدت لمغابر الأثر الآثار عن عيون الأخبار المتهمة والمنجدة، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم ما لهج اللسان باسمه الكريم ووعده، وآله الطيبين المنتخبين القامعين لعداته المردة.

وبعد فلما كان عام إحدى وخمسين وألف نبا بي الأوطان، وخلفت الأهل والإخوان من خلف، واستبدلت منهم كل صاحب وإلف، وألقتني أيدي النوى المفزعة المفجعة في البلاد المحروسة، ومن موائد إكرامه وسلسبيل إنعامه شبعت ورويت، علامة زمانه وفهامة أوانه، المجهبذ النحرير، الناقد البصير، الأديب الأريب، اللبيب النجيب، الحبر البارع، الذهن الطائع، الفقيه الأجل النحوي، التصريفي اللغوي، اللوذعي الظريف، ذو الحسب المنيف، محمد وأخوه الأبر الزكي الأمجد الحافظ الفاهم، القوام الصواب، اللبيب الزكي،

النجيب التقي، الفقيه النزيه مقر العين الأنجب، السيد الحسين إبني محمد بن أحمد بن ناصر بن عمرو الدرعي جعل الله مجدهما المحض المرعي فوجدتهما والله خيرين كريمين وأفضل قرينين في كل خلق سني ظاهرين، ومن كل فعل دني طاهرين، وفي العلوم بحرين زاخرين، وفي الفهوم حبرين باهرين، وقد طرق سمعي قبل لقياهما ما شيد علياهما، فلما كان اللقاء رأيت منهما أجل مما يؤثر عنهما، كما قيل:

كانت مسايرة الركبان تخبرني فيما تحدث عنكم أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذناي أحسن مما رأى بصري

فطفقت معهما أغتنم مجتمعهما في رياض العلوم نقطف أزهارها، ونجتني بأيدي الفهوم ثمارها، حتى استفدت منهما في ظني أكثر مما استفادا علي، مع ما ألقاه من إحسانهما إلي، غير أن الزمان العسير، لم يسمح لهما إلا بقراءة شيء يسير، كمثل مواضع من صحيح محمد بن اسماعيل البخاري ومواضع من كتاب الموطأ لإمام دار الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام مالك بن أنس الأصبحي وجميع الأنوار السنية، في ألفاظ السنية، للإمام المفسر محمد بن محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، وجميع روضة الأزهار، في علم وقت الليل والنهار، لعبد الرحمان بن غالب القادري الفاسي، وجميع منية الحساب نظم وتلخيص الإمام أحمد ابن البنا الشيخ

الجماعة الإمام محمد بن أحمد ابن غازي العثماني المكناسي، وتجاذبنا أطراف الحديث في سائر العلوم الشرعية حسبما يجري في مذاكرتها السنية مع تشويش البال بأمراض هائلة، وأهوال نازلة، أوجبت الفراق قبل الإتفاق فلما حان البين وعظم الخطب وجل، وسح دمع العين وانهل، طلبا عند ذلك مني إجازة تبيح لهما الرواية عني وتصل حبلهما بالسلف الصالح، كما اقتضاه الدين الكريم من النصائح، ولم يكن بد من المساعدة، كما اقتضاه المودة والمعاهدة، مع أني في ذلك ممن قيل فيه:

إذا غاب ملاح السفينة وارتمت بها الريح يوما دبرتها الضفادع

قصير الباع، بليد الطباع، لست من رجال ذلك ولا من فرسانه، بل ولا من غلمانه وصبيانه:

ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

ولكن ودهما الذي سكن الجنان، حملني على مساعدتها بما كان، فقلت وعلى الله المتكل، في كل قول وعمل، أجزت السيدين المذكورين: محمد وأخاه الحسين إبني محمد بن أحمد بن ناصر بن

عمرو الدرعي، كان الله لهما خير ولي وأعز ناصر، جميع ما في فهرسة شيخ الجماعة ابن غازي وما في فهرسة الشيخ شيخنا أحمد المنجور من العلوم الشرعية التي أنشد فيها شيخنا المحقق أبو بكر بن يوسف السكتاني فقال:

تفقه بتعبير الحديث مؤرخا بوقت بيان الإرث أصل المحجة

ولا تغفلن نحوا بضمن لقائه تصوف بسر من علوم الشريعة

تنل به مرقى من مراقي أفاضل وتحظ بنيل المجد أبلغ منية

وأخبرني أن قوله أصل المحجة يتناول أصول الدين وأصول الفقه، وقوله بسر يشير به إلى علم التصوف ... وأسبابها، وعنوان السعادة المطلوبة وبابها، كما أجازني جازاه الله خيرا بقراءتي عليه وسماعي بعضه، ولكن من غير طريق الفهرستين المذكورتين، فإن الذي أجازني ما فيها وما في فهرسة الإمام العلقمي وما في فهرسة الإمام ابن مرزوق وما في فهرسة ابن حجر وما في فهرسة الإمام المنجور بسماع بعض ذلك عليه بقراءة غيري، هو مولاي وسيدي ومحط رجائي ومعتمدي، خاتمة الحفاظ في المغرب الأقصى، ورواية الرواة الذي جمع وأحصى، المحدث الفقيه، الأستاذ النبيه، المفسر المحقق، المؤرخ المدقق، النحوي اللغوي الأصولي البياني العالم العلامة البارع، الفهامة الزاهد الورع السني المتبع الناصح، الولي الصالح، التقي النجيب اللبيب ذو النسب

الشريف، والحسب المنيف، الحبر الباهر، البحر الزاخر، ذو العلم الراسخ، والفضل الباذخ، والقدر الشامخ، سيدي ومولاي الحسن الحسني السجلماسي، قرأت عليه قدس الله روحه وأناله أعلا الفردوس وبحبوحه، ختمة من القرآن برواية نافع وابن كثير بطريقتي قالون وورش في الأولى والبزي قنبل في الثانية، وأجازني رحمه الله في ذلك، وسمعت منه كثيرا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيرا من التاريخ والفقه وتفسير القرآن والناسخ والمنسوخ والغريب والتأويل وسبب النزول والإعراب والتصريف والتصوف والإرشادات وغير ذلك مما يطول ذكره، وحدثني رحمه الله بذلك كله وأباح روايته عنه، ورواية ما رواه عن شيوخه وما وضعه من التآليف والفوائد في كل علم نظما ونثرا، وكان ذلك عام سبعة وثلاثين وألف ببلاد الغيام جبل مدغرة أيام محنة شرفاء سجلماسة، وكتب لي بخطه رحمه الله، وأما شيوخه فكثيرة، وكان يحدث عن أبيه ولي الله تعالى سيدي علي بن طاهر وعليه أخذ القرآن وجمع التفسير على غيره أيضا ويحدثني عن الشيخ الناصح، والولي الصالح، السيد رضوان بن عبد الله وكان قارئه فيه خمس سنين، وأخبرني بذلك رحمه الله، يحدث عن الشيخ الأجل أحمد بن علي المنجور الفاسي، وقرأ عليه البخاري ومسلم وغير ذلك، ويحدث عن الشيخ القصار وهو محمد بن قاسم القصار وهما عن محمد بن إبراهيم الشهير بخروف التونسي، ويحدث أيضا عن أبي القاسم بن عبد الجبار الفكيكي عن عمه، وخروف المذكور والفكيكي عن كمال الدين الطويل القادري عن شهاب الدين عن أبي المجد عن الحجار عن الزبيدي عن أبي الوقت عن

الداودي عن ابن حموية السرخسي، عن ابن مطر، عن محمد بن إسماعيل البخاري، هذا السند أعلا أسانيده في البخاري من طريق كمال الدين القادري، وأما من طريق ابن غازي ومن طريق ابن حجر وغيرهما ولنذكر واحدا منهما فنقول: يروي الحديث كله عن أحمد المنجور عن الشيخ عبد الرحمان السفياني العاصمي الشهير بسقين عن شيخ الجماعة ابن غازي، وأسانيد ابن غازي في جميع العلوم كثيرة جدا من أرادها فليطالع فهرسته المسماة (بالتعلل) فلا نطيل بجلبها، ومن طريق ابن حجر فنقول يروى عن الشيخ القصار عن خروف التونسي عن شقيق المذكور عن شيخ الإسلام القلقشندي عن شيخ الإسلام ابن حجر، ولنقتصر على هذين السندين لكثرة أسانيده رضي الله عنه في الطرق الثلاثة وغيرها.

وكان رحمه الله تعالى من عباد الله الصالحين ما رأيت أسرع منه دفعة عند سماع القرآن، فلا يكاد يجرد الطالب لوحا إلا ويكبر الله مرات أو أكثر، وكذلك عند ذكر الله وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر المدينة المشرفة وعند ذكر الأولياء والصالحين، ويعظم حرمات الله وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحرمة الأولياء، وكان شديد الغيظ على المبتدعة التاركين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير التواضع لأهل العلم والطلبة والفقراء الصادقين يجود لهم بنفسه وماله، ومناقبه وفضائله كثيرة، ما رأيت معه في مغربنا أتبع للسنة منه، حركاته وسكناته كانت كلها علوما وفوائد.

توفي رحمه الله عند طلوع الشمس من يوم السبت الثاني عشر من جمادى الثانية عام إثنين وأربعين وألف (1042) بدرعة، ودفن خارج قرية أولاد الحاج بها.

وأما شيخنا العلامة الفهامة الحجة المحقق المدقق الرحالة الراوية الفقيه الأديب، النحرير اللبيب الكامل النجيب، العالم العامل، الحاج الفاضل، المدرك الواصل، الولي الصالح، المجتهد الناصح، سيدي أبوبكر بن يوسف السكتاني المغارتي فأجازني حفظه الله جميع العلوم التي أنشأ فيها ما تقدم مرتين بعد ما قرأت عليه ما شاء الله، وذلك أني قرأت عليه البخاري كله ومسلما كله، وسمعت عليه من لفظه جميع الجامع الصغير للإمام السيوطي إلا درسا واحدا وبعضه، وقرأت عليه مختصر خليل وجميع مناسكه وجميع مناسك الشيخ يحي الحطاب وجميع كتاب الأنوار السنية، في الألفاظ السنية للإمام ابن جزي، وسمعت عليه من لفظه جميع ألفية زين العابدين العراقي الحديثية ونخبة الامام ابن حجر، وحضرت تدريسه في كثير من العلوم، وسمعت منه مسائل كثيرة وفوائد جمة، قيدت عنه في كثير وفوائد جمة، قيدت عنه في كثير من الفنون، وكان أيده الله حجة في النقل وعزو المسائل، وشيوخه كثيرون بالمغرب والمشرق، حدثنا عن كثير من أهل المشرق في الحديث والعلوم، وقرأت منه عليهم، وأجازه منهم الشيخ حجة الاسلام ابراهيم اللقاني عن الشيخ سالم السنهوري والشيخ محمد البنوفري عن الشيخ محمد الرملي وعن نجم الدين الغيطي والشيخ محمد الرملي والشيخ محمد البنوفري كلاهما عن القسطلاني عن شيخ الاسلام أحمد بن علي ابن حجر والشيخ محمد الرملي أيضا عن والده الشيخ أحمد الرملي، وعن

شيخ الاسلام الحجة الامام زكرياء، وكلاهما عن حجة الاسلام ابن حجر، وأيضا حفظه الله عن الشيخ محمد مولانا الاسكندراني عن البنوفري المذكور، ويروي أيضا حفظه الله عن الشيخ عبد الرحمان الخياري عن الرملي عن والده كما تقدم، كان الله له باللطف الجميل، في المقام والرحيل، مولعا ببلاد المشرق يفضلها في العلم على بلاد المغرب في زماننا هذا، رحل إليها ثلاثة في عامنا هذا الذي هو واحد وخمسون وألف، وكان أيده الله آية في المسكنة وحب الخمول لاتغره الحياة الدنيا وزينتها ولايميل إليها ولا يعظم أهلها ولا يراهم شيئا شديد الاحتراس منهم، كثير التحفظ لدينه كثير العلم والفوائد، محققا في القراءة السبع والعشر، يعرف من أحكامها ما لايوجد عند أهل زمانه، وقرأت عليه القرآن إلى قريب من النصف برواية نافع وابن كثير، وسمعت عليه أحكاما، وكان كثير النوادر والحكايات، مجلسه أحسن مجلس رأيته في مغربنا، متواضعا يسأله كل أحد ويجيبه على قدر عقله، صابرا حليما ناصحا محبوبا عند الخاصة والعامة لايطوي بشر على أحد، ويسعى في قضاء حاجته لاسيما في الشفاعات مالم تكن مخالفة للشرع، وكنت قرأت عليه بمراكش في مسجد أم مسجد أم السلطان أحمد (المنصور السعدي) رحمه الله، وبمسجد حومته قرب داره في درب الحلفاويين، وفيه كان يدرس غالبا، نسأل الله تعالى أن يقرب اجتماعنا به على أحسن حال بمنه وكرمه. وتوفي سنة 1060، وقرأت على غير هذين الشيخين وأجازني فيما ذكر إلا قليلا منهم، فمنهم أهل فاس المحروسة كالشيخ الامام العلامة التقي الصوفي السني ذي الحسب الشهير، والنسب الأثير، الحاج الرحالة الأستاذ الفقيه،

الطيب النبيه، النحوي اللغوي، السيد عبد الواحد ابن عاشر الأندلسي، كان رحمه الله آية في الفهم والتحقيق في الفنون، ومواظبا على العبادة والدين، ومع ذلك لم تفته دنياه كما لم تفته آخراه، سبحان من خصه بذلك سبحانه، وحضرت عليه من النكاحات في المختصر إلى قريب من ختمه، وسمعت عليه الفوائد الكثيرة وأبحاثا دقيقة في العلوم، وأجاز لي في موضوعاته في الفقه وغيره نظما ونثرا روايتها عنه يطول بنا ذكرها، وقرأت عليه الفاتحة بمد ملك يوم الدين بسنده فيها إلى شمهروش الجني الذي سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه فأجازني فيها خصوصا، وغيره من الأشياخ يطول بنا ذكر جميعهم، وكبرزلي الزمان، ومصباح الأوان القاضي الشهير، والجهبذ النحرير، إبراهيم الجزياتي، لقيته ببلاد غمارة واستفدت منه رحمه الله وغيره، وحاصل الأمر أني أجزت السيدين المذكورين كل ما قرأته على أشياخي وأخذته وأجازوني فيه من العلوم الشرعية عقلية ونقلية وأصلية وفرعية، ولولا الطول لذكرت أسانيدي في الفقه المالكي وغيره من العلوم، وأذنت لهما أن يرويا عني كل ما رويته وأجزت فيه أو نسب إلي من تقييد أو نظما ونثرا، وأوصيتهما بتقوى الله وملازمة الرحمة للمومنين وتعليمهم وتعظيم العلم وأهله وتعظيم حرمة الله وحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والأولياء والصالحين بشرطه المعتبر عند أهله، فالله تعالى يعيننا وإياهم على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه.

وكتب بذلك وقاله الفقير الحقير أسير ذنبه عبد ربه في مفتتح محرم عام اثنين وخمسين وألف محمد بن سعيد السوسي، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وآله الطيبين وأصحابه المنتخبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

وقال من رسالة لتلميذه العروسي بن عبد الله الجراري:

الحمد لله... بلغني أنكم بنيتم المدرسة للطلبة للتتعاونوا معهم على طاعة الله تعالى فحمدنا الله لكم على ذلك إذا علمتم بقوله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان}. فنسأل الله لكم الكمال بجاه نبيه صلى الله عليه وسلم، ولكن أريد أن أنصح لكم فإن الدين النصيحة، وهو سهم بيني وبينكم، وذلك ما وقع منهم فأنتم شركاء فيه لكونكم أعنتموهم عليه بالغذاء والعشاء والبيوت فما فائدة المدرسة إن كانت على هذا الوجه إلا بالزيادة بذنوبهم على ذنوبكم وإن كنتم تلمزونهم بالمعروف وتنهونهم عن المنكر فقد صدق عليكم قوله تعالى:

{وتعاونوا على البر والتقوى } ، وإلا صدق عليكم قوله تعالى: {ولا تعاونوا على الاثم والعدوان} ، وها أنا أبين لكم بعض ذلك لأنه يخفي على كثير من الناس إلا من أيده الله بنور العلم والفهم نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم منهم آمين.

وبيانه طلبة هذا الزمن يشتغلون بدارس كتاب الله وأحكامه من الضبط والحفظ سنين كثيرة وهم في تلك المدة كلها في معصية الله تعالى لأنهم تركوا الفرض يعني فرض العين الذي كلفهم الله به ويسألهم الله عنه يوم القيامة، ثم اشتغلوا بالنوافل التي لم يكلفوا بها ولا يسألوا عنها فضاع الدين الذي هو المقصود في القراءة وهم يحسبون أنهم يحسنون صغار والعياذ بالله فتراهم إذا ذكروا الحذف والاثبات والنقطة الحمراء والخضراء والزائد الملحق نشطوا لذلك وإذا ذكروا التوحيد الذي يعد العبد به من المسلمين وفرائض الوضوء والغسل والتيمم وفرائض الصلاة وتفسير الحلال والحرام وتقوى الله وعبادته والجنة والنار وغير ذلك مما هو فرض عين على العبد المكلف البالغ فروا من ذلك وبعد من ساحته، وإذا ساقهم القضاء والقدرة بالحضور عنده نعسوا في المجلس سهوا لايردوا عقولهم بحفظ شيء منه، وإذا طرحوا الألواح شغلوا أنفسهم بما تهوى من اللهو واللعب والصياح والجري وقلة الحياء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والحاصل من لا يشتغل بالتوحيد وبالفقه بعد التوحيد فلا يسكن مدرستكم ولا تعاونوه على مراده من قراءة القرآن قبل قراءة التوحيد والفقه الذي يلزمه فإذا استحييتم من طرده أو إخراجه فما ضررتم إلا أنفسكم، والله أحق أن يستحيي منه، وهذه نصيحة لكم ولغيركم من الطلبة ونؤكد على

مؤدبكم الذي يسلك عليه الطلبة إذا جاءه طالب فليختبره فإن وجده عرف الله ورسوله وحصل عقائده وفرض عين منه فليجود له لوحته، وإلا فليهرب منه ويقول له إقرأ ما فرض الله عليك والا فاذهب عني والسلام، وينبغي له ولغيره أن يحب كل من يقرأ التوحيد والعلم ولو يحمله على ظهره لأنه حبيب الله وحبيب رسوله وأن يكره غيره ويطرده ولو كان أباه لأنه عدو الله ورسوله والسلام.

المصادر:

مباحث الانوار للولالي ط.

فهرس الحسين بن ناصر ط بيروت

فهرسة اليوسي ط.

منظومة المستعان في حكم الإقامة والأذان للمرغيثي مكتبة مؤسسة عبد العزيز آل سعود

شرح المرغيثي السوسي لمنظومته في الكيمياء مكتبة مؤسسة عبد العزيز آل سعود

مكتبة مؤسسة عبد العزيز آل سعود (552)

مجاميع بمكتبة مؤسسة عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء

الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة التنمارتي ط.

الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام / العباس بن ابراهيم ؛ تحقيق عبد الوهاب

ابن منصور ط.

تزنيت وضواحيها ندوة ط.

المعسول المختار السوسي ط.

فهرس العوائد المزرية بالموائد المرغيثي ط.

الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة / ابن ناصر الدرعي مرقون

السيف المسلول على من انكر صحبة الرجراجيين للرسول الرجراجي السعيد ط.

الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب/حسن جلاب ط.

مجموع المتون ط.

"البدور الضاوية في مناقب أهل الزاوية الدلائية" لأبي الربيع سليمان الحوات، 1160 هـ-1797 م ، 1231 هـ-1816 م : تحقيق وتقديم دبلوم الدراسات العليا : الأدب : الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية : 1993

مصادر لم أقف عليها:

المستعان في حكم الإقامة والأذان للمرغيثي: تحقيق وتعليق محمد إفرخاس ط.

منظومة في المخمس الخالي الوسط مخطوط/ المرغيتي الميقاتي

المكتبة الوطنية بالرباط: (ضمن مجموع س ص 411 - 412)

2059 د / 9

أوله   يا طالب السر في الأوفاق ...

قصيدة في الأوفاق مع الشرح المرغيثي خزانة بن يوسف بمراكش 1789

القصيدة المشيرة في التصوف خ تامجروت 2166

رسالة في ابطال السحر خ تاجروت 559

رسالة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خ تاجروت 6 3210

الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة: مرغتي، محمد بن سعيد حسان، أسماء مكتبة الطالب، 2013

الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية لمحمد المكي بن ناصر: المكتبة الوطنية بالرباط: 1864/د

كتاب : قصيدة تتحدث عن فضل العلم

تأليف : محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى ، المرغيثي ، المراكشي ، السوسي

في 12 بيتا .

مخطوط ، بالخزانة المحجوبية _ كما في : خديجة كمايس : فهارس الخزانة المحجوبية : قبيلة رسموكة تزنيت ص 189 ، رقم 23 .

كتاب: محمد بن سعيد السوسي

توجد منه نسخة (مبتورة الآخر) برقم (333 / 1) بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة ، و رقمها التسلسلي (468) في فهرسة مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة

قصيدة نصح الطلبة بمجموع مخطوط بخزانة المختار السوسي بتزنيت رقم 280

كناش العوفي (مخطوط بخزانة العوفي بسوس)

اجوبة فقهية محمد بن سعيد المرغيثي خم 12142

معونة الحيسوبي للمرغيثي منظومة عدد أبياتها 110 مطبعة فاس 1350 على الحجر

1568 Segou "5504, 84a-87b"

Muḥammad b. Sa`īd b. Yaḥya al-Sūsī al-Marghitī author

محمد بن سعيد بن يحيي السوسي المرغتي

تحت: مدح النبي الموضوع

منظومة في الحج : المكتبة الوطنية بالرباط: رقم 346

معونة الحيسوبي في عمل التوقيت بالجيوب مخطوط/ المرغيتي الميقاتي

2 نظم الرسالة الفتحية للماريني

(ضمن مجموع من ص. 175–181)

مرغيثي ، محمد بن سعيد ال

تقايد و أشعار في سبعة رجال مراكش نص مطبوع/ محمد بن سعيد المرغيثي

المكتبة الوطنية بالرباط: 3/374

مرغيثي ، محمد بن سعيد ال

رسالة في الأمر بالمعروف نص مطبوع/ محمد بن سعيد المرغيثي

المكتبة الوطنية بالرباط: 2106د/1

الغرة في الكلام على بيت الإبرة نص مطبوع/ محمد بن سعيد المرغيثي

المكتبة الوطنية بالرباط: 162د/2128/6د

مجموع به تقايد للمرغيثي مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق: 2008/الرباط

الفن ... تنجيم

عنوان المخطوط ... شرح لاميه في الاوفاق

عنوان المخطوط ... الاوفاق مع الشرح

اسم المؤلف ... محمد بن سعيد بن محمد المرغتي

اسم الشهرة ... السوسي

اسم الشهرة ... المرغيثي

اسم الشهرة ... المرغتي

تاريخ الوفاة ... 1089هـ

قرن الوفاة ... 11هـ

نسخه في العالم

اسم المكتبة ... خزانه ابن يوسف

اسم الدولة ... المغرب

اسم المدينة ... مراكش

رقم الحفظ ... م 5/478

الفن ... تنجيم

عنوان المخطوط ... شرح لاميه في الاوفاق

عنوان المخطوط ... الاوفاق مع الشرح

اسم المؤلف ... محمد بن سعيد بن محمد المرغتي

اسم الشهرة ... السوسي

اسم الشهرة ... المرغيثي

اسم الشهرة ... المرغتي

تاريخ الوفاة ... 1089هـ

قرن الوفاة ... 11هـ

نسخه في العالم

اسم المكتبة ... خزانة ابن يوسف

اسم الدولة ... المغرب

اسم المدينة ... مراكش

رقم الحفظ ... م 5/478

نظم محمد بن سعيد المرغيثي: مكتبة كلية الاداب بالرباط : 21 / 118

نظم المرغيث في الربع المجيب: المكتبة الوطنية بالرباط: **358** د